
كتاب مجلة " كلمة حق " (٣)
هدية العدد (١٤) من مجلة " كلمة حق " سبتمبر - ٢٠١٨
مختصر كتاب
في خضم المعركة
د. عبد الله عزام

هذه السلسلة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ .

لو أفنى الإنسان عمره في قراءة ما تكتبه الأقلام لم يبلغ أن ينهي منها إلا قدراً ضئيلاً، فالعقول لا تتوقف عن الإنتاج والمطابع لا تتوقف عن الهدير، وفي عصرنا هذا كاد الناس كلهم أن يكونوا أصحاب أقلام ولهم كتابات، فما عليك إلا أن يكون لك حساب على موقع تواصل اجتماعي فيكون قد صار لك منبر عام تكتب فيه.

ومن بين الكثير من الغثِّ قليلٌ من السمين، فأودية العقول كثيرة ونتاج الفلاسفة كغابة ضخمة متشابكة.. فالعلم النافع بالنسبة لبحور الأفكار كالدرر واليواقيت في أعماق البحار.

والعلم الذي تحتاجه أمة مهزومة مستضعفة تريد أن تنهض ليس كالعلم الذي تحتاجه الأمم في حال رفاهيتها ورخائها.. فإن أمتنا أحوج إلى فهم الدين الصافي الواضح كما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وهي بحاجة إلى فهم الواقع المعاصر لتُحسِن إصلاحه بما لديها من الدين، وتحتاج إلى علوم النهوض وبناء الأمم أكثر من حاجتها إلى علوم الترف والزينة والزخارف. وفي طليعة علوم النهوض: فهم الدين والسياسة والتاريخ والعلوم الأمنية والعسكرية.. فالمكتوب في هذه الأبواب أولى بالعناية والاطلاع والدراسة من غيره.

وقد أنعم الله علينا في " كلمة حق " بفكرة أن نقدم مع كل عدد كتاباً كهدية، ونحن بين أن نستخرجه من كتاب مهم، أو أن يكون تلخيصاً لكتاب مهم، أو أن يكون ترجمة لتقرير مهم.. وهكذا، نختاره بحسب ما نقدِّر أهمية الاطلاع عليه.

ونرجو أن يعيننا القراء الكرام بترشيحاتهم ومجهوداتهم، فالباب مفتوح لكل مجهود..

نسأل الله أن يكون علما نافعا وعملا صالحا خالصا لوجهه الكريم

مجلة
كلمة حق

أعمدة الجهاد

إن صلاح الدنيا والدين قائم على الجهاد، بل إن الشعائر ودور العبادة قائمة على الجهاد:
(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرًا).

والجهاد قائم على أعمدة أهمها:

أولاً: العزة

ثانيًا: الصبر

إلى المتثاقلين عن الجهاد

إن النفرة للجهاد في سبيل الله انطلاق من قيد الأرض، وارتفاع على ثقلة اللحم والدم، وتحقيق للمعنى العلوي في الإنسان، وتطلع إلى الخلود الممتد في الآخرة، وخلاص من الفناء المحدود.

أما إن لم تكن معذورًا شرعًا، وغلبتك شهواتك وأصررت على القعود فلا تقصر كذلك بالجهاد بمالك، فقد روى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للقاعدين: (أيكم خلف الخارج في أهله وماله بخير كان له مثل نصف أجر الخارج).

ولكن إثم القعود لا يسقط عنك بذلك بلا شك، إلا إذا تبت وبادرت إلى الجهاد..

الغرباء

قسم الإسلام الناس قسمين:

أهل الدنيا، وهـؤلاء عبيدها محرومـــون من الارتقاء إلى المعالي، يعيشون غارقين في مستنقع الدنيا.

ومقابل هذه الصورة، حملة المبادئ الذين غابت ملامح وجوههم وراء المعركة، فشعرهم أشعث أغبر، لباسهم أسمال بالية، حفاة الأقدام، خمص البطون، لا ينظرون إلى الدنيا، ولايتعلقون بحطامها، همهم كله نصرة هذا الدين.

هؤلاء هم بناة الأمم، هم صانعو الأمجاد، هم حماة البلاد، رفعوا اللواء ومضوا إلى ربهم أعزة كرامًا فاستبقوا الخيرات.

يا معشر الشباب، إن لم تعبدوا الله اليوم فمتى تعبدون؟ وإن لم تجاهدوا الآن فماذا تنتظرون؟ ألا تنتظرون مرضًا أو صدمة أو موتًا؟

هل آثرت العيش تحت لذع السياط أنفاسك مكتومة، نبضاتك معدودة وحركاتك مرصودة؟ قد لا تستطيع أن تؤدي الجماعة في المسجد خوفًا من الذين يكادون يزلقونك بأبصارهم.

أيها الإخوة: (سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض...).

العذاب العذب

من خلال نظرتي في هذا الدين وتمرسي بشعائره وعباداته وجدت أن أشق عبادة على النفوس هي الجهاد، ولذا كانت قمة سنام الإسلام، ولم يكن مصادفة عابرة هذا الثواب الجزيل الذي رتبه الله للمجاهدين.

ووجدت أن أصعب شيء في الجهاد هو انتظاره والمرابطة لانتظار المعركة أصعب من المعركة ذاتها، والذي يعيش بين المجاهدين يدرك هذه الحقيقة خاصة بين الذين يفدون إلى الجهاد من بعيد يتركون زينة الحياة الدنيا، ويعود الشيطان ليسول له الرجوع إلى دنياه التي تركها، ولكنه لا يدخل له إلا من مدخل المصلحة.

ولا يدخل له مباشرة من باب ترك الجهاد، بل من باب أن الحي الذي تركته ضاع أبناؤه، والمسجد الذي غادرته قل عماره، والأسرة التي انتزعت نفسك منها تمزقت.

ومن مبررات العودة:

وتزداد الحيرة مع حواجز اللغة وبعض العادات وشظف الحياة ووعورة المسالك، ووحشة السبيل.

وكلما كثر أبناء اللغة الواحدة أو الأرض الواحدة مع الإيمان الصادق قلت الحيرة، وزالت نار التردد.

وإذا غاب الهدف الكبير الذي جاء من أجله المجاهد وضاعت معالم الطريق الذي يسير عليه فمن الصعب أن تقنعه بالبقاء أو الاستمرار.

أقول:

إن الصبر على مرارة الطريق لابد أن ترافقها تذوق حلاوة عبادة الجهاد، ولا تتم الحلاوة إلا بأن يدرك المجاهد هدفه، ويضع نصب عينيه غايته، فلا بد أن يستقر في أعماقه:

(1) أن الجهاد ليس (عرضا قريبًا ولا سفرًا قاصدًا)، إنما الجهاد رحلة العمر المرافقة للحياة، فلا

ينتهي الجهاد ما دامت العروق تنبض بالدماء.

(2) أن الغرض الأسمى للجهاد هو الثواب، والصفقة بين العبد وربه تمت على ه-ذا.

(3) أن النصر في المعارك التي تهفو إليه النفوس يقلل الأجر.

(4) مقارنة الدنيا بحطامها ومتاعها بالآخرة ونعيمها حتى تبقى الدنيا زهيدة صغيرة في عين المجاهد.

الجهاد والصيف

إن المعارك في الشتاء تكلف المجاهدين مشقة وعنتًا بالغين؛ إذ إن خروج المجاهد من قاعدته يعني أحد أمرين: إما أن يموت متجمدًا في الثلوج، وقد حدث هذا للكثيرين، أو تقطع أصابعه، أو تجمد أقدامه، أو يؤخذ أسيرًا.

لقد أكرمنا الله في السنوات السابقة أنه في كل صيف ترتفع خسائر الكفار سنة بعد أخرى؛ ففي هذا الصيف نحن ننتظر رحمة الله ونصره، وأن تكون خسائر الروس أضعاف مضاعفة عما شاهدناه في العام الماضي.

والمسلمون بطبيعتهم قد يعذرهم بعض الناس لعدم شهودهم ساح النزال بسبب انشغالهم بأعمالهم خلال العام، ولكن لا يمكن أن يعذرهم أحد إذا أخذوا أجازتهم الصيفية خاصة المدرسين والطلاب من أن يسيحوا في الأرض سياحة أشرف الخلق صلى الله عليه وسلم بالجهاد بدل أن يقضوها على شواطئ البحار، أو في أعماق الغرب أو الشرق يبحثون عن الهواء العليل والنسمة المروحة، فهيا إلى جبال الهندوكش هنا مصايف لا نظير لها، احفظوا نقودكم في جيوبكم، وافتحوا صحائف أعمالكم؛ لتصب عليها الحسنات صبًّا.

لقد طوفت في مخيلتي لأرى الشباب الطيب في العالم الإسلامي قد توقف عن بذل الدماء.. ورأيت شجرة دعوته تكاد تذوي مصفرة العروق شاحبة الأغصان يابسة الأوراق قد فقدت نضارتها؛ لأن ماء حياتها قد انقطع عنها، وهو دم الشباب وعرقهم وأشلاؤهم

يا شباب الإسلام: من يحمي الأعراض من الانتهاك؟ من يحمي الأطفال من الذبح؟ من يكفكف دموع الثكالى؟ من يهدهد آلام الأرامل والأيتام؟

مسؤولية العرب أمام الله

إن لكل أمة ميزة قدمتها إلى صفحات التاريخ وحفظت لها مكانتها في التراث الذي قدمته البشرية على مر عصورها.

والعرب من بين الأمم التي خلدت وتسلمت قيادة البشرية فترة، وإن كانت لا زالت تملك الكثير الذي تستطيع أن تقدمه للمائدة الإنسانية مما يؤهلها مرة أخرى لاستلام زمام الركب البشري وقيادته.

ولقد كان العرب مادة هذا الدين وخامته الأساسية، وكانوا صفوة الأمة الإسلامية، ومحور قيادتها.

وأنا أحدث عن مكانة العربي المسلم في نفوس المسلمين غير العرب مما رأيت وسمعت:

1- أن الطلاب في جامعة الجهاد والدعوة (وهم من أبناء المجاهدين والمهاجرين الأفغان) يطلبون مني أن أحدثهم عن فلسطين وعن الحركة الإسلامية في مصر والعالم العربي.

2- المجاهدون الأفغان يقولون: اللهم ارزقنا الجهاد في أفغانستان، وارزقنا الجهاد والاستشهاد فوق أرض بيت المقدس.

3- كثيرًا ما كنت أحدث المجاهدين الأفغان عن الجهاد فيصغون فإذا ذكرت فلسطين فاضت أعينهم بالدموع.

لابد للعرب أن يحاولوا إعادة دورهم هذا، وأن يتحملوا تكاليف المسؤولية، وأن يعرفوا تبعات هذه الطريق.

والآن استطاعت أجهزة الإعلام الشيوعية واليسارية في العالم العربي أن تلبس قضية الجهاد الأفغاني وتظهرها بمظهر المنافس للقضية الفلسطينية، وبدأت بعض الأصوات ترتفع بالنكير على كل من نادى بدعم الجهاد الأفغاني، بل لقد أعرب بعض أبناء جلدتنا من فلسطين، قالوا: إن قضية أفغانستان أثارتها الماسونية العالمية لطمس القضية الفلسطينية.

فإذا كانت الشيوعية العالمية ترمي الشعب الأفغاني عن قوس واحدة، وترمي اليمن الجنوبي والهند والدول الشرقية بأبنائها في المحرقة الشيوعية في أفغانستان لتثبت تضامنها مع الشيوعية الدولية... فهل يحرم بعد هذا أن تنادى بعض المسلمين لدعم الجهاد الأفغاني بالنفس والمال؟

كيف صبروا

كيف يصبر هؤلاء المجاهدون في هذه السنوات السبع العجاف، لقد فقدوا كل شيء في هذه الدنيا؟

همم عالية..

تركوا الأرض العزيزة التي عليها دبوا ونبتوا، فما وهنوا ولا استكانوا، فقدوا الأم التي أغدقت عليهم من حنانها حتى شبوا على أقدامهم، تحول البيت الذي يقطنون ميتمًا؛ ففيه الأرامل والمشوهون والعجزة، والبيت لا يتعدى خيمة تضرب الريح في أرجائها وتقتلع أطنابها، وبعد هذا كله فمسيرة الجهاد مستمرة والنفسيات عالية والهمم مرتفعة، ولم يذل هذه الهامات استمرار المحن وتوالي المصائب.

ومقابل هذا جنود الروس تحميهم الأساطيل البرية والجوية وطعامهم خاص يعيشون في معسكرات مدججة بأحدث الأسلحة وما ابتكره العقل البشري من أسلحة وأجهزة.

خواء الإلحاد:

ومع هذا كله يعيشون في فزع رهيب ورعب عجيب، فروسيا تضطر لتغيير قواتها داخل أفغانستان كل ستة أشهر إلى سنة.

قارنت في نفسي بين هذه النفسيات المهزومة في أعماقها المضطربة في حياتها وأعصابها وبين المجاهد الذي فقد كل شيء، ومع ذلك فهمته كالسيف عزمًا ومضاء.

عندها جاء الجواب: إنه الإيمان بالله الذي غرس الأخلاق الإسلامية الرفيعة في نفوس هؤلاء، وعلى رأس قائمة هذه الأخلاق الصبر والشجاعة والعزة والكرم والكرامة.

إن كل واحد منهم يمثل أسدًا رابضًا في عرينه لا يستباح حماه، ولا يقتحم بيته.

معدن صقله الإسلام

لقد صقل الإسلام معدن الشعب الأفغاني: فأصبح الوفاء لهم سجية، والشجاعة صبغة، والعزة لهم طبعًا، والحياء لهم خلقًا، والنخوة لهم أرومة، وأصبح الزهد ديدنهم، والرجولة عنوانهم، والغيرة سمتهم.

صفات أصيلة:

إن الصفات الإسلامية هي التي أهلت هذا الشعب الإسلامي الكريم العريق في أصالته أن يخوض هذه المعركة الطويلة المدى.

وإن النفس البشرية لا تكاد تصدق ما يتحمله الإسلام فوق أرض أفغانستان، ولكنه الصبر الذي يلقيه الله في القلوب بقدر البلاء الذي يتصبب عليها من السماء.

إن الصبر بحد ذاته كرامة كبرى تدل أن يد الرحمن هي التي ترعى هذا الجهاد، وأن عين الديان هي التي تحرس القتال المبارك.

وقفوهم إنهم مسؤولون

إن لله تعالى قوانين ونواميس تسير حسبها الحياة الاجتماعية والأجيال عبر تاريخ البشرية.

هذه القوانين لا تحيد الإنسانية عنها، ومهما حاولت مصادمتها فإنها لا محالة فاشلة خاسرة، والإنسان هو الذي يدفع الثمن؛ لأنه هو المتحطم في النهاية؛ لأنه يحاول أن يصطدم بهذه القوانين ظنًّا أنه يستطيع أن يوقف عجلة الكون الدائرة بإذن الله.

ولذا فإن كل المناهج البشرية التي وضعت لملء فراغ الإنسان وحل عقدته قد باءت بالفشل الذريع، من رأسمالية إلى اشتراكية وشيوعية وقومية.

ومن هذه القوانين: قانون الدفع (الصراع) بين الحق والباطل: هذا قانون لا يمكن أن يتخلف في حياة البشرية، فالدفع بين الخير والشر والصراع بين الإيمان والكفر مستمر منذ أن غادرت قدما آدم عليه السلام الجنة.

وجبهة الخير والحق يمثلها الرسل -عليهم الصلاة والسلام- وأتباعهم، وجبهة الشر والباطل يمثلها الشيطان وأتباعه، أو كل جبهة أخرى غير جبهة أتباع الرسل -عليهم الصلاة والسلام.

هذه الجبهة لا يمكن أن تهدأ في الكيد للإسلام وأهله، ولئن كفوا عن القتال أو الكيد الظاهري برهة من الزمن فالكف خلاف القاعدة ويعتبر شذوذًا في سير التاريخ الإسلامي.

وفلسطين من الشواهد الكبرى على حقد أهل الكتاب ونقمتهم على أصحاب هذا الدين، واتفقت روسيا وأمريكا والمعسكرات على حربهم بجانب اليهود، ووقف المنافقون من صف العرب والمسلمين بجانب أعداء فلسطين.

ولاحق الكفار الشعب الفلسطيني في كل مكان: سجنًا وتشريدًا وتمزيقًا وتقتيلاً.

والغريب العجيب: الصمت الرهيب المطبق حيال هذه المجازر الرهيبة، هناك مجازر المسلمين الفلسطينيين في لبنان، وهنا مجازر المسلمين الأفغان.



فهل يقف ذو لب أو ذو بقية فيسأل هذه القبور الصامتة والأجداث الوحشية بأي ذنب قتلت؟

إن لم يسأل أحد في هذه الأرض فسيسمعون صوت الحق يوم القيامة يناديهم:

(احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله واهدوهم إلى صراط الجحيم وقفوهم إنهم مسؤولون).

أين الصحفي المسلم؟

على أبواب بكتيا وأثناء عودتنا من معسكر (ليجا) على مشارف خوست كنت جالسًا ذات مساء، وبجانبي صاحبي فدخل شاب أشعث أغبر لم تعد تعرف لون وجهه، ولا لون ثيابه من الغبار الذي يكسوه، والعرق الذي اختلط بالثرى الذي يكاد يغير ملامحه تمامًا.

الشاب أشقر طويل أزرق العينين تبدو سحنته الغربية واضحة جلية.

فتحدثت معه بالإنجليزية فقال: أنا (كرستيان روبين) قدمت من فرنسا صحفيًّا مبعوثًا من وكالة الأنباء الفرنسية المسماة (سيغما)، ومكثت في داخل أفغانستان أربعة أشهر ونصف.

لقد قال لي الصحفي الفرنسي الكاثوليكي: إن هذا الجهاد الذي في أفغانستان سينتصر؛ لأن الله مع المجاهدين.

ثم أخبرني أنه راجع إلى بيشاور ليرى برقية جاءته من فرنسا تخبره أن أمه على فراش الموت، وهو عازم على العودة إلى أفغانستان.

لقد تملكني العجب وأنا أرى صبر هذا الصحفي الكاثوليكي على مشاق الحياة في أفغانستان، وذلك لأنه يشبع رغبة في نفسه; وهي نقل صورة حقيقية عن الجهاد وأهله داخل أفغانستان، ومن أجل تلبية هذه الرغبة تهون عليه كل المصاعب، مع أنه لا يرجو ثوابًا، ولا يخشى عقابًا من رب العالمين، ولا يطمع في شهادة يدخل بها جنات عرضها السموات والأرض.

لقد كنت أقارن بين هذا الصحفي وبين الصحفيين المسلمين العرب وحتى الباكستانيين الذين يعيشون على حدود الجهاد وشظايا القذائف تصل قراهم أحيانًا، ومع ذلك فهم ينقلون ما يترجمونه عن النيوزويك واللوموند والتايم وكريستيان ميرر، ولا يطمع أحدهم أن يصل حدود أفغانستان هربًا بالنفوس من الحياة (الجهاد).

بل إن بعضهم يرجف ويخذل ويصور الجهاد الأفغاني مجموعة من قطاع الطرق يقبعون على حدود باكستان، يتربصون سيارة ينهبونها ويقتسمونها، وأن أفغانستان خاضعة تمامًا لروسيا، مع أن كل من دخل أفغانستان يدرك الحقيقة.

فهل تستيقظ ضمائر أصحاب الأقلام أم تبقى سادرة في غيها؟

المعركة بين الجت والحصان

من حدود باكستان حتى حدود الاتحاد السوفياتي وعلى طول الطريق العام في أفغانستان، من شمالها إلى جنوبها، تجد قوافل الحمير والبغال والخيل محملة بالأسلحة والذخائر، وبالصواريخ بأنواعها. والبغل يعتبر دبابة المجاهد، وهو يشكل وسيلة نقل هامة لأسلحة المجاهد، وفي اختراق سلاسل الجبال، وتحدي الثلوج والتلال والأدغال.

وعلى طول الحدود في باكستان تجد أصحاب البغال ينتظرون المجاهد ليستأجر البغل.

وأجرة السلاح تشكل عقبة كبرى أمام المجاهدين، ثم تبرز عقبة أخرى هي عقبة أجرة سلاحه، وقد رأيت حالات كثيرة من القادة يبقون يتضورون على الحدود يتلهفون رؤية زائر قادم يشكون له حالتهم لعله يرق لهم، ويحل مشكلتهم أو يساهم في حلها.

فهل يدفع العرب هذا المبلغ؟

وفوق هذا كله تجد أناسًا متبرعين يتتبع عورات الأفغان وينشر عيوبهم، فتجده يزورهم عدة أيام ليرجع إلى بلاده داعية لنشر مساوئهم، وينبه إلى بعض الأخطاء الفردية والعيوب الشخصية، مثل تعليق الرقى والتمائم والتوسل فتنقبض الصدور من الجهاد الأفغاني، وتمسك الأيدي عن البذل حتى قال بعضهم: ليس في أفغانستان جهاد وإنما (قتال بين المشركين الأفغان والملحدين الروس).

وهؤلاء ينسون أن هؤلاء المجاهدين يواجهون أعظم قوة في المعمورة منذ سبع سنوات، ولم يبق بيت إلا تحول إلى ميتم ومأتم وهم صابرون محتسبون، يأتي أحدهم خبر استشهاد أبنائه فيردد بلكنته الأعجمية: شكر لله. حمد لله.

ينسى هؤلاء المتحمسون الذين يطعنون الجهاد الطعنة النجلاء في الصميم أنه لو سقط الجهاد الأفغاني لعظم البلاء واشتد الخطر على مسلمي العالم.

معادلة ربانية

لقد اقتضت إرادة الله وحكمته أن يكون الجزاء من جنس العمل، فقال تعالى: (فاذكروني أذكركم) . ويلمس المسلم هذه القاعدة واضحة في الجهاد، فبقدر ما تشتد الظروف وتقل الدنيا وأسبابها المادية بين يدي المجاهد، يوسع الله عليه بعوض عظيم من جهة التأييد الإلهي والنصر المؤزر الخارج عن طاقة البشر وإمكانياتهم، ويحس المجاهد في أعماقه بسعادة غامرة يجدها في حناياه من انشراح الصدر وراحة الضمير وقرة العين.

إنك تعيش مع المجاهدين يومًا أو أكثر فتتركهم وقلبك معلق بهم، وتعيش معهم شهرًا على

الخبز والشاي والمرق، فما إن تغادرهم حتى يحن قلبك إليهم وتهفو للعودة معهم.

إنها المعادلات الربانية، إنها التعويضات الإلهية، إنها موازين القسط بيد رب العالمين.

وإذا كان العمل صادقًا فإن الله تعالى يسهل على صاحبه أداءه مهما كان العمل ثقيلاً وشاقًا، وتعجب وأنت ترى حال المجاهد وقد فقد كل شيء في الدنيا، فقد سقط على طريق الجهاد أحباؤه وإخوانه وأهله وجيرانه، وهو يعيش في شظف من العيش، وشدة من الحياة لا تكاد تصدق، **ومع هذا فإنك تجدهم يمزحون ويهزلون والقذائف تتصبب فوق رءوسهم!!**

ويل للشجي من الخلي

لم يعد كبيرًا على نفس المسؤولين الروس أن يعلنوا قبولهم للجلوس مع دولة من دول العالم الثالث -باكستان- لعلها تخلصها من ورطتهم، بعد أن كان هذا الأمر أثقل من الجبال على أنفسهم أن يجلسوا على مائدة المفاوضات مع دولة فقيرة ليست مسجلة في دفاترهم، بل يتوسلون ليلتقوا على انفراد وبخفية عن أعين الناس مع بعض قادة الجهاد الذين يأنفون الجلوس مع هؤلاء إلا في وضح النهار، دون تنازل عن شرطهم الأساسي الانسحاب الكلي من أفغانستان قبل البدء بأي **حديث آخر:**

ولكن مع هذا يجب ألا يغيب عن بالنا قضايا:

القضية الأولى: أنهم فقدوا كثيرًا من قادتهم: إن أفغانستان فقدت عام 5041ه- زهرة أبنائها، وخيرة قادتها، وذلك لشراسة المعارك، ولهول اللقاءات والاشتباكات، وهؤلاء قد نالوا قسطًا لا بأس به من التوجيه والتربية والتعليم، ويعز على الإنسان أن يجد لهم نظائر، وقلما ترى لهم ولو بعد حين بدائل.

القضية الثانية: أنهم يلقون العنت حتى من بعض المسلمين.

القضية الثالثة: أنهم محاصرون عالميًّا.

القضية الرابعة: أنهم يعانون الهجرة والفقر.

فالجهاد الأفغاني الآن بحاجة إلى اليد الحانية التي تواسي جراحاته، والنفس الكريمة ذات الهمة الشماء التي تجود حتى بأرواحها فضلاً عن مالها، والداعية الصادق الذي ينذر نفسه لخدمة **أمة وبناء جيل وإنقاذ دين فأين الدعاة الصادقون؟**

ولكن الروس لا يعلمون

لقد فطر الله النفس البشرية بإرادته وصنعها بيده، واقتضت مشيئته -سبحانه- أن تسير النفس الإنسانية على خط ذي حافتين كالقاطرة فوق السكة الحديدية:

(خط الروح، وخط الجسد)

ولا يمكن للنفس أن تستقيم في سيرها، ولا تؤتي أكلها، ولا تحقق غايتها إلا إذا صلح هذان الخطان المتوازيان.

إن حاجة الإنسان إلى الدين أشد من حاجته إلى الطعام والشراب كما يقول ابن القيم، ولقد حاولت روسيا أن تنتزع الدين من أعماق الشعوب الإسلامية، وحاولت أن تنشئ جيلاً متمردًا على الله، ملحدًا، ولكن محاولتها كلها تحطمت على صخرة الفطرة الإنسانية، ورأينا مصداق هذا في أفغانستان.

إن الجندي الذي جاء مع الجيش الروسي من المقاطعات الإسلامية تاجكستان وأوزبكستان عندما رأى المصاحف مع الشعب الأفغاني صار يدفع إليهم سلاحه ويأخذ المصحف بديلاً، فهل يتعظ الروس ويصدقون أن الدين فطرة الله؟

اليوم أفغانستان وغدًا عربستان

مع دخول الشيوعية الحمراء بخارى وسمرقند وطشقند نشأت حركة مقاومة تسمى حركة (الباسمشي)، وكان من أبرز المجاهدين في هذه الحركة رجل من سمرقند يسمى (إبراهيم بك)، ودخل إبراهيم بك أفغانستان فطاردته الحكومة بإيعاز من روسيا، حتى خرج من أفغانستان.

فقال إبراهيم كلمته الخالدة: اليوم بخارى وغدًا أفغانستان.

وحدث ما قال إبراهيم، فدخلت الشيوعية أفغانستان بعد أربعين سنة، ونحن نقول: اليوم أفغانستان وغدًا عربستان.

اليوم أفغانستان تواجه مصيرها وحدها بأياد عزلاء وصدور عارية يمشون فوق الثلوج حفاة حتى سقطت أصابعهم، ويتسلقون الجبال عراة إلا من أسمال بالية وأخلاق فانية رقيقة تغطي عورتهم.



وأخيرًا لقد حذرنا أصحاب الجزيرة العربية أنه إن سقط الجهاد الأفغاني (لا قدر الله) فإن بلوشستان مفتوحة؛ إذ إن الشيوعية ضاربة بجذورها العميقة في قبائل البكتي ومري، ووضحنا أن منظمة الطلبة البلوشية (بي، إس، أو) في 4891/21/72 ذكرى الغزو الروسي قد رفعت الأعلام فوق جامعة بلوشستان وأنزلت أعلام باكستان.

فليتنبه العرب والمسلمون وإلا:

فإن اليوم أفغانستان وغدًا عربستان

القبائل والجهاد

إن كثيرًا من الناس يتوجسون خيفة من مغبة اتصال روسيا بالقبائل التي تشكل حزامًا أمنيًّا لأفغانستان من الناحية الشرقية الجنوبية لأفغانستان، ويرون أن هذه القبائل ستسد الطريق في المستقبل على المجاهدين مما يؤدي إلى خنق الجهاد، والحد من حركة المجاهدين عبر حدود باكستان، ولكن هذا الظن بعيد الوقوع إن لم يكن ضربًا من الخيال، وذلك **لأسباب على رأسها:**

1- أن هذه القبائل هي من العرق البشتوني الذي ينتمي إليه حوالي 06% من القبائل الأفغانية. وليس من السهل أن تبيع هذه القبائل أرحامها بثمن العنز، بل إنه يستبعد أن تساوم على دماء بني عمومتها وأعراض نسائهم بثمن بخس دراهم معدودة.

2- الأصالة التي لا زالت القبائل تتمتع بها، فلم تفسد فطرتهم، ولم تهن عليهم كرامتهم.

3- لا زال الطابع العام لهذه القبائل هو التدين الفطري.

4- لقد شهدت بنفسي الحفاوة البالغة التي تستقبل بها هذه القبائل المجاهدين.

ولذا وباختصار فليس من السهل على روسيا أن تشتري هذه القبائل، ولا أن توجهها ضد أبناء عمومتهم مهما أنفقت من أموال، ومهما بذلت من جهود.

الآن حمي الوطيس

لقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه العبارة والناس قد انفضوا من حوله يوم حنين، وقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت كما جاء في النظم الرباني الكريم، وتلفت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خلت الساحة من فرسان الميدان، فلم ير بدًّا من الإعلان عن نفسه فأخذ يرجز



أنا النبي لا كذب   أنا ابن عبد المطلب

أتذكر هذه القصة من السيرة الشريفة وأنا أرى الحرب الضروس التي تدور رحاها الآن في أفغانستان، وخاصة على الحدود والروس قد استماتوا ليسدوا منفذًا من منافذ المجاهدين على الحدود، وهل بإمكانك -يا أخي- أن تتخيل معركة على موقع واحد فيها روسيا بأساطيلها الجوية والبرية ولا تدع شيئًا من المبيدات الإنسانية من قذائف أو صواريخ أو راجمات أو مدافع إلا واستعملته.

ويقابل هذا كله مجاهدون قد يعوزهم الطعام، ولا يستغرب أن يرى فيهم الحفاة، أيديهم فارغة إلا من الرفع بالدعاء، ولا يملكون شيئًا سوى إيمانهم وثقتهم بالله، وينفض المجاهدون وقد قلت الذخيرة واكفهر الجو واشتدت الأزمة، **ولم تبق سوى مجموعة قليلة محتسبة يردد لسان حالها:** (ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين).

وفتح الله على هذه الحفنة القليلة ونصرها نصرًا مؤزرًا.

والآن أما آن للمسلمين أن يقفوا بجانب إخوانهم المجاهدين الذين أصابهم القرح؟

إلى من يتلفت هؤلاء المجاهدون الأفغان ومن ينادون وقد بلغت القلوب الحناجر؟

من هم أصحاب الشجرة الذين يمكن أن يستخدمهم قادة الأفغان؟ أينادون الحكام أم المحكومين؟ أيستصرخون النساء أم الرجال؟ أيدعون أصحاب الدعوات الإسلامية؟ أم عامة المسلمين؟ أهم العلماء أم العامة؟

السائرون على الجمر

لم أجد عنوانًا يليق بمسيرة الجهاد الأفغاني المباركة مثل هذا العنوان، فلا يستطيع عنوان آخر أن ينقل الصورة الحقيقية للآلام التي يعانيها المجاهد الأفغاني ولا يعكس حقيقة المشقة التي يتكبدها أولئك الذين يعيشون فوق قمم الجبال وفي الذرى الشواهق تحت قصف لا يكاد ينقطع من قذائف الطائرات والصواريخ والمدفعية والألغام التي أصبحت شبحًا رهيبًا يهدد أقدام الذين يواصلون هذه المسيرة.

لقد مارست الشعائر والعبادات كلها فلم أجد أشق على النفس من الجهاد، ولذا فقد جعل الله تعالى للجهاد أجزل ثواب وأعظم أجر.

وقد أجمع العلماء على أن الجهاد أفضل من جوار المسجد الحرام، ولم يجعل الشارع الحكيم هذا الأجر العظيم لهذه العبادة جزافًا، بل حكمة الشارع تقتضي أن يكون الثواب على قدر النصب، والأجر على قدر الجهد إذا أخلصت النية وصدقت الطوية.

أمريكا وتجارة الدماء

لقد انبسطت أسارير أمريكا وهي ترى انزلاق أقدام الدب الروسي فوق جبال الهندكوش، وكانت تظن أن بإمكانها أن تحتوي الجهاد الأفغاني آجلاً أو عاجلاً، وتلمع البديل الذي تقدمه للمسلمين إسلامًا ولكنه بالثوب الأمريكي والعقلية الغربية، وحاولت أمريكا أن تعجم عود القادة الأفغان فوجدتها صلبة المكسر غير لينة المعصر.

ولقد كانت المناورات الأمريكية الروسية تدور حول البديل عن روسيا إثر انسحابها، ولم تستطع أن تتوصل إلى الشخصية العلمانية اللادينية التي تقدم للشعب الأفغاني بأثواب المسلمين.

وليكن واضحًا منذ بداية الطريق أن الطاغوت هو الطاغوت سواء كان أمريكيًّا أو عربيًّا أو أفغانيًّا أو روسيًّا.

ولنوقن منذ البداية أن الكفر ملة واحدة، وأن ملل الكفر تنازع بعضها على مصالح دنيوية، أما العدو المشترك في نظرها فهو الإسلام.

إن الحل السياسي الذي تسعى إليه أمريكا مع روسيا باطل شرعًا ممنوع عقلاً، ولقد علمتنا التجارب كلها في فلسطين وغيرها أن الحل لا يكون إلا من خلال فوهات البنادق، وأن إحالة القضية إلى المجالس الدولية والمحافل العالمية تعني إحالتها إلى سلة المهملات، والسير بها إلى موتها المحتوم.

ثم جاءت بعدها محاولة استدراج القادة الأفغان لمقابلة ريجان بحجة إلقاء خطاب في الأمم المتحدة في نيويورك، وحدد ريجان موعد مقابلته مع حكمتيار، ورفض حكمتيار ومندوب الاتحاد الإسلامي سياف أن يقابلا ريجان في الثلاثين من أكتوبر 5891، وكذلك رفض زيارة الكونجرس الأمريكي بعد أن وجه إليه دعوة حارة، وقد اطلعت على بطاقة الدعوة، وفيها: "لأنكم شعب يؤمن بالله، وضرب أروع الأمثلة للشعوب التي تريد استرداد حريتها نتشرف بدعوتكم".

وأسرها ريجان في نفسه، وامتلأ غيظًا؛ إذ إنه كما قال سفير دولة إسلامية لحكمتيار: **أترفض مقابلة ريجان، وهو يرفض مقابلة ستين رئيسًا وملكًا؟**

ثم حصل لقاء القمة بين ريجان وغورباتشوف في نوفمبر 5891، وأخرج غورباتشوف من حقيبته خارطة الدولة الإسلامية في أوج عزها وأرفع دهورها، وبين له أن معظم أراضي أوروبا كانت



تخضع للمسلمين، وأن المسلمين قد دقوا أبواب أوروبا مرتين، ووقفوا في شوارع النمسا، **ثم حذر غورباتشوف ريجان وقال له:**

لقد بدأ المسلمون يتململون وينفضون الغبار عن أنفسهم، ويحاولون أن ينطلقوا، وإذا انطلقوا لن يقف في وجههم شيء، وإن المستفيد الوحيد من اختلاف أمريكا وروسيا هو الإسلام، فلا بد من إنهاء مشاكلنا للوقوف في وجه العدو المشترك، وأطرق ريجان مليًّا وأعجب بالفكرة.

ثم كانت المحاولة الأخيرة واستدرج أخيرًا وفد إلى أمريكا ليجلس مع ريجان، وعاد أعداء هذا الجهاد يفركون أيديهم فرحًا ويقولون: إن الجهاد الأفغاني صراع بين أمريكا وروسيا، وإن الجهاد الأفغاني يحركه وتوجهه المخابرات الأمريكية وتمده بالمال والسلاح.

وقد صدم الصادقون لهذا اللقاء وصعقوا لهذا المنظر، وللعلم:

1- فإن هذه المقابلة يرفضها الأستاذ سياف أمير الاتحاد الإسلامي لأفغانستان، والأستاذ حكمتيار أمير الحزب الإسلامي وقوتهما معًا تزيد عن نصف قوة المجاهدين مجتمعة.

2- إن أمريكا غير مقبولة أبدًا لدى جمهور المجاهدين الذين يحملون السلاح في خنادقهم، وقد تجد أكثر من 90% ناقمين على أمريكا نقمتهم على روسيا.

3- إن المجاهدين المخلصين يرفضون أن يتسلموا روبية واحدة من أمريكا، وهذا الذي صرح به حكمتيار في أمريكا لدى الصحفيين بأننا لم نتلق أي مساعدة من أمريكا ولا من مخابراتها.

4- هنالك خمسون مليون دولار خصصتها أمريكا للتعليم في داخل أفغانستان هذا العام، ورفض المجاهدون -وعلى رأسهم سياف وحكمتيار- أن يتسلموها.

فنرجو الله أن ينصر الجهاد والمجاهدين، وأن يحفظ ثمرات الجهاد للأبرار، وأن يحرمها الطغاة والأشرار.

المفتي "جل الرحمن".

عرفت على طريق هذا الجهاد المبارك نماذج ليس لها ذلك البريق الإعلامي الجذاب، ولا دوي الشهرة الخادع الذي يضيع الحقيقة تحت أبواق الإعلام والمزامير.

فممن عرفت: أسد كونر (جل الرحمن أي زهرة الرحمن) شاب في السابعة عشرة من عمره مشرق الوجه لم يكتمل نبات الشعر في وجهه، بدأ الجهاد وهو في العاشرة من عمره، وقتل أكثر من مائة شيوعي، وكان في أيامه الأخيرة يقوم بعملية كل يومين، وفي إحدى الهجمات الروسية حيث هجم الروس على معسكرهم كان يضرب عليهم بالرشاش -الدوشكا- فقتل بشهادة قائد المعسكر حوالي خمسين منهم.

مفتي القدس يصرح:

الشعب الأفغاني ينتحر؛ لأنه يواجه روسيا:

أقارن بين جل الرحمن الذي استشهد وهو في عمر الورود وبين مفتي القدس (سعد الدين العلمي) الذي يصرح أن الشعب الأفغاني ينتحر؛ لأنه يواجه روسيا، وأن أمريكا قد زجت بالشعب الأفغاني في هذه المعركة؛ لتشغل به روسيا، وتستنزف طاقاتها العسكرية والاقتصادية، ثم ينصح سماحة المفتي الشعب الأفغاني بأن يصالح روسيا.

الفزع العالمي بسبب استمرار الجهاد:

ليت سماحة المفتي عرف التوكل الذي يعرفه غلمان الأفغان الذين لا يحفظون إلا الفاتحة، وليته رآهم وهم يشيرون إلى الطائرات المارة يرددون: (افعلوا ما شئتم لن ندع لكم شبرًا من أرضنا).

لقد نسينا بعد الهزيمة الروحية والنفسية أمام ضغط الواقع الحاضر وبسبب الهجوم الاستشراقي الماكر (عقيدة التوكل على الله)، ولو اعتقدنا فعلاً -كما يقول الأفغان- أن الله أقوى من روسيا فسيهزمها، ولم تكن لتجثم حفنة من اليهود على قلب العالم الإسلامي آخذة بخناقه، مهددة استقراره وأمنه ودينه وحضارته.

وختامًا، فإن هذا الجهاد كلما شق طريقه في واقع الحياة لابد أن يكثر أعداؤه ويزداد نقاده. ونحن إزاء هذا الجهاد، نحب أن نسمع ذكره سواء نقدًا أو مدحًا؛ لأننا عندما نسمع الجهاد الأفغاني تتحرك أوتار القلوب وتنتشي شغاف الأفئدة.

المرجفون.. والأمل العريض

البشرى تأتي مع المحنة القاسية والأزمة الخانقة، ويجب أن يبقى الأمل العريض يحرك المسيرة ويوجه الركب ويحيي النفوس، إن الأمل يخفف كثيرًا من آلام المعركة، ومن عناء المسيرة، ومن مرارة المعاناة.

إن المحن وأهوال القتال وضراوة المعركة ضرورة ماسة، فقد علم الله أن هذه الخليقة البشرية لا تصاغ صياغة سليمة ولا تنضج نضجًا صحيحًا ولا تصح وتستقيم على منهج الله إلا بهذا النوع من التربية التي تحفر في القلوب وتنقش في الأعصاب، وأما القرآن والسنة فإنهما يوجهان القلوب وهي منصهرة بنار الفتنة، ساخنة بحرارة الابتلاء، قابلة للطرق، مطاوعة للصياغة.

لابد من إلغاء اليأس من قاموس الدعوات، ولابد من نفي الملل من معجم الحركات، ولابد من مسح القنوط من كتب الجهاد ومن مخيلات المجاهدين.

ولذا لابد من إشاعة البشرى وكتم عوامل الضعف عن جمهور الأمة، فقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ أنه إذا نقضت قريظة عهدها فلابد من كتمان الخبر، وإذا لم تنقضه فالأولى إشاعة الأمر بين المسلمين.

إن نشر الإشاعات المرجفة بين المجاهدين أثناء المعركة يفت في عضدهم ويوهن عزائمهم ويخلخل صفوفهم، ولذا نص الفقهاء على أنه "لا يجوز اصطحاب مثبط ولا مرجف ولا مخذل ولا معوق".

واليوم هنالك بعض الأفراد يشككون في هذا الجهاد المبارك وينشرون السلبيات ويكتمون الإيجابيات.

فإلى الإخوة الذين ينشرون أخطاء هذا الجهاد، بصدق نقول:

إن المسلم يعمل مهما كانت الظروف؛ لأن عليه الأخذ بالأسباب، والنتائج بيد رب العالمين.

إن المسلم مأمور أن ينفذ الأوامر الربانية ويدع المقادير للعناية الإلهية، وأما المرجفون المغرضون، أو الجاهلون الصادقون: فنقول: إن أحدهم يرى بيته بين حانة خمر ومرقص في بلاده، ومع ذلك فلا غيرة ولا نكير، ونقول لهم الحديث القدسي في البخاري: "من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب". فكيف بإيذاء أولياء الله!

فإذاعة أخبار السوء عن الجهاد والمجاهدين ونشر سلبياتهم اتباع للشيطان.

عشرون عامًا على الشهادة

جرى ذكر الأستاذ سيد قطب -رحمه الله تعالى- فتنبهت أننا في شهر أغسطس، الشهر الذي استشهد فيه وأنه قد مضى عشرون عامًا على شهادته، فكان لابد من الكتابة عنه ولو شذرات وأسطرًا، وذلك رمزًا للوفاء وعنوانًا للمودة والإخاء.

أذكر أن مظاهرة خرجت في عام 7691 قبل الاحتلال اليهودي بثلاثة أشهر في المدينة التي أنا منها -جنين/فلسطين- تعبر عن سخطها على اليهود وتندد بالظالمين وتهتف بحب عبد الناصر، فلم تجد تعبيرًا صادقًا عن سخطها أوضح ولا أقوى من أن تدخل دار الدعوة الإسلامية وتمزق المصاحف والتفاسير وتلقيها في شوارع المدينة!! ولا زال منظر أوراق المصاحف يهز الأوصال بتذكرها.





ولم يفسح الأجل للأستاذ سيد أن يرى الثمار المباركة التي أثمرها الله تعالى من غراس قلمه المبارك. لم ير الصحوة الإسلامية ولا رجوع الجيل إلى الله، ولكنها الكلمة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء.

وددت يوم سمعت الحكم عليه بالإعدام أن أفتديه بنفسي وأمي وأبي، وأذكر أني كتبت برقية لعبد الناصر أقول فيها: (الدعوة لن تموت، والشهداء خالدون، والتاريخ لا يرحم).

وما كنت أظن أنه سيحصل هذا الدوي الهائل بشهادته، وأن أفكاره ستعم المنطقة، بل العالم الإسلامي كله فتحيا بها الأجيال.

ميزات سيد قطب:

لقد تميزت كتابات سيد قطب بمميزات كثيرة أفردتها من بين الكتابات المعاصرة وجعلتها فذة مشرقة، **وعلى رأس هذه المميزات:**

- نفاذ البصيرة وعمق النظر: اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله.
- سعة الأفق وهذا راجع إلى عاملين.
- الاطلاع على المخطط العالمي لضرب الإسلام.
- سعة ثقافته واطلاعه على الثقافة الإنسانية.
- الاحتياط والورع والهيبة أمام النصوص القرآنية، ويبدو هذا من خلال تفسيره لكتاب الله.
- التركيز على العقيدة وشرح لا إله إلا الله:

لقد هال الأستاذ سيد قطب وقوف الجموع الهائلة من المسلمين واجمة إزاء تصفية الحركة الإسلامية جسديًّا سنة 4591، فلقد كانت هذه الجموع تسد الطرقات على أبواب دار الإخوان في (الحلمية) تنتظر خطاب الأستاذ البنا مساء كل ثلاثاء وتنتظره حتى الثانية عشرة ليلاً وهي تكبر وتهتف ما بالها الآن بكماء عمياء صماء؟ بل إن قسمًا ليس بالقليل من هؤلاء تبرع بإيذاء الإخوان في داخل السجون بالتجسس عليهم ونقل أخبارهم.

لقد وقف طويلاً أمام هذه الظاهرة، وأخيرًا وضع إصبعه على موطن الداء وهو أن هذه الجموع لم تفهم (لا إله إلا الله).

والذين دخلوا أفغانستان يدركون الأثر العميق لأفكار سيد في الجهاد الإسلامي، وفي الجيل كله فوق الأرض كلها، حتى إن بعضهم لا يطلب منك لباسًا وإن كان عاريًا، ولا طعامًا وإن كان جائعًا، ولا سلاحًا وإن كان أعزل، ولكنه يطلب منك كتب سيد قطب.

وكم هزني أن أسمع أن هنالك قواعد جهادية في أفغانستان وعمليات حربية يطلق عليها اسم سيد قطب.

البلسم الشافي

كنا في مساء جمعة في العشر الأواخر من ذي الحجة، جلست أتحدث مع بعض الإخوة قائلاً: حدثني كثير من الإخوة العرب أن لديهم أمراضًا مزمنة شفيت في الجهاد، فهل وجدتم هذا حقًّا في مسيرتكم المباركة؟ قالوا: نعم.

قلت: ولكن أخطر مرض قد عافى الله منه النفوس وشفى منه القلوب هو مرض الوهن الذي أصاب الأمة الإسلامية (حب الدنيا وكراهية الموت). إن الجهاد قد أعاد الحياة إلى كثير من أوصال الأمة الإسلامية التي شلت وفقدت الإحساس وأصابها التبلد والموات.

وبجانب هذا هنالك مرض خطير عالجه الجهاد وتعاني منه البشرية جمعاء وهو مرض (القلق) الذي أصبح شبحًا رهيبًا يطارد الناس، ويقض مضاجعهم، ويؤرق أجفانهم.

ففي الحديث الصحيح الذي رواه الطبراني وأحمد: (عليكم بالجهاد في سبيل الله فإنه باب من أبواب الجنة يذهب الله به الهم والغم).

الشبح الرهيب

لما وقفت قريش ومنعت النبي من دخول مكة في صلح الحديبية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب، فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش، فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره أو تنفرد هذه السالفة).

ما أجملها من كلمة تنطق بلسان حالنا وتعبر عن مشاعرنا... فنقول: هذا الشباب المسلم في كل مكان الذي يتقلب على مرقده شوقًا للقاء إخوانهم المجاهدين في أفغانستان، وتطلعا إلى أداء فريضة الجهاد، نقول: ماذا على المسؤولين لو خلوا بين هؤلاء الشباب وبين الجهاد لنصرة إخوانهم الأفغان؟ فإن استشهد هؤلاء الشباب كان للمسؤولين الذي أرادوا وارتاحوا من شرورهم! وإن رجعوا رجعوا درعًا لبلادهم، وحصنًا لدينهم ومبادئهم.

كان من عادة الطواغيت أن يبحثوا عن متنفس لهذه الطاقات فلا يجدون لهؤلاء الشباب سوى الصوفية السلبية الانعزالية تمتص طاقاتهم وتنفس عما يجول في صدورهم.

حتى من يجد مهربًا ويلتحق بركب الجهاد تبدأ الأجهزة الأمنية تتابع تفاصيل خطوات هذا الشاب منذ خروجه من أرض بلده إلى عودته، وهي تعد له ألوان العذاب.

بدأت الضغوط على السفارات الباكستانية في الخارج لتعقيد معاملات التأشيرات، ولتصبح التأشيرة الباكستانية أصعب من التأشيرة إلى الدول البترولية، وكانت من قبل تمنح التأشيرة في المطار لأي زائر ومن أي جنسية كان.

أقول: سبحان ربي! المسلم الذي جاء يؤدي فريضة الجهاد يمنع من أداء عبادته، وأما الغربي الذي ليس للدين حساب في معاملاته يجد كل ترحاب!!

ولكن الذين يكيدون يعلمون أن الجهاد هو الشبح الرهيب الذي يقض مضاجع أعداء الله، ولكنهم ينسون البشرى التي بشرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يبقى بيت من مدر ولا وبر إلا ويدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزًّا يعز به دين الله، وذلاًّ يذل به الكفر).

هزيمة أم خديعة!؟

أعلن نجيب الرئيس الشيوعي لأفغانستان وقف إطلاق النار ابتداء من الساعة الثانية عشرة ليلة 51 يناير سنة 7891، وصرح بأنه سيطلق السجناء، وأعلن أنه يفتح ذراعيه ليحتضن من مد يده من المجاهدين، ورحب بمن أراد العودة من المهاجرين، وأعلنت روسيا أنها لن تحمي نظام كابل فيما بعد، وأنها ستنسحب على مراحل خلال سنة أو أكثر، ونزل العملاق الكبير لأول مرة من عليائه، وقبل أن يجلس مع مندوب باكستان.

وكان رد المجاهدين الحاسم أن شددوا ضرباتهم بعد وقف إطلاق النار، وحينها خرج الشيوعيون يستغيثون ويناشدون المجاهدين بالله والإسلام أن يوقفوا جام الغضب المنصب فوق رءوسهم ويقولون للمجاهدين: لقد أوقفنا إطلاق النار فلم تطلقون علينا نحن مسلمون نصلي ونصوم ويقسمون للمجاهدين على هذا؟!

وفي يوم السبت 7891/1/71 أقام قادة المجاهدين السبعة مؤتمرًا واحدًا لشجب الحلول السلمية، وأعلنوا جميعًا وبصوت واحد وبرأي واحد رفض الحل السياسي الخادع.

إن التاريخ الروسي حافل بنقض المعاهدات واغتنام الفرص في ابتلاع الشعوب الفقيرة، منذ لينين، يوم أن أمن الشعوب الإسلامية في طشقند والقرم وأذربيجان على دمائها ودينها وأعيادها،

ثم انقض عليها وافترسها ومسخ دينها وحارب قرآنها بعد أن ساعدته في القضاء على القيصرية.

وعلى أية حال -والله أعلم بما تخبئه الأقدار فنحن نتوقع ما يلي:

1- إن استمرار القتال هو الطريق الوحيد لدحض الروس ودحرهم.

2- إذا سقط السلاح من أيدي المجاهدين فمن الصعب أن يرفعوه مرة أخرى.

3- لن يجد قادة الجهاد مناصًا من أن يغادروا أرض باكستان ليكون القرار السياسي والعسكري بأيديهم وحدهم لا ينازعهم فيه أحد، ولن يستقلوا بقرارهم السياسي ما داموا فوق أرض باكستان التي تخضع للضغوط الدولية ولا تملك زمام أمرها في اللعبة الدولية.

4- إذا أصر قادة الجهاد على عقيدتهم فلابد أن يواجهوا في المستقبل المشاكل الحدودية والقيود في التأشيرات وأوراق السفر ومصادرة المساعدات ومنع وصول الأنصار.

جهاد لا إرهاب

كلما ذكر اسم الجهاد انتفض الكفر فزعًا من هذه الكلمة، وكلما تكلم المسلمون عن الدفاع عن حقوقهم انبرت أجهزة الإعلام الغربية تشوه الإسلام وتصف المسلمين بالوحشية وبالقسوة.

ومما يندى له الجبين أن أبناء المسلمين قد صدقوا عن أنفسهم وعن آبائهم ما يرسمه هؤلاء المستشرقون عنهم، وما يكتبه هؤلاء الحاقدون من تاريخهم، فأصبحوا يتوارون حياء من هذا التاريخ الملطخ بالدماء والذي لا يدع المجرمين ولا الأبرياء!!

لعل ذراري المسلمين نسيت حروب القرون الماضية بين فرنسا وبريطانيا وغيرها من الدول الأوروبية، ولعله فاتهم أن يطلعوا على مذابح الكاثوليك للبروتستانت، والمجازر التي جرت لليهود في أرجاء أوروبا، وأما من التاريخ القريب فإن أمريكا زعيمة العالم المتحضر أو (المحتضر) على الأصح ما قامت إلا على أشلاء شعب بكامله من سكان البلاد الأصليين الذين أبادوهم.

ولعل أبناء المسلمين ينسون مآسي حربين عالميتين أثارها الغرب على مدى ربع قرن ذهب ضحيتها قرابة خمسين مليونًا من البشر.

ولعل أبناء المسلمين لا يدركون الحرب الثقافية المنظمة والغزو العالمي الفكري لهم؛ لينفروهم من الجهاد، فيثيرون قضايا الرق والجزية وقتل الأسرى؛ ليصوروا المسلمين مجموعة من اللصوص والقتلة وسفاكي الدماء، منطلقين في الأرض سيوفهم مشرعة لإرواء نهمهم للدماء، وإشباع نزواتهم من النساء وإسكات سعارهم للثراء.

ولعل أبناء الإسلام لم يطلعوا على مصائب التاريخ الدامي للصليبيين وما فعلوه في المسلمين



من مجازر.

إن الحملة الشعواء التي شنها المستشرقون على الجهاد أدت إلى نتائج سيئة وآثار سلبية في نفسيات ذراري المسلمين المهزومين روحيًّا وعقليًّا أمام هذا الهجوم الاستشراقي الماكر، وتحت ضغط الواقع المرير الحاضر.

لقد خطط الغرب لقتل روح الجهاد في نفس الأمة المسلمة، ورسم لذلك مناهج ووضع برامج للاستيلاء على هذه الأمة الحية المجاهدة بعد اجتثاث العقيدة الإسلامية والعبادة الجهادية من أعماقها:

- فالرحلات الاستكشافية كانت صليبية: يقول فاسكو دي جاما عندما وصل إلى رأس الرجاء الصالح: (الآن طوقنا رقبة الإسلام، ولم يبق إلا جذب الحبل ليختنق فيموت).

- وكانت المدارس العقلية الحديثة التي حاولت أن تخضع النصوص الربانية للعقل وأن تلوي أعناق النصوص الجهادية، حاولت وهي تدافع عن شريعة الجهاد أمام الغرب أن تظهر الإسلام دينًا دفاعيًّا لا يمكن أن يقاتل إلا دفاعًا عن حدود جغرافية، وكأن الإسلام نحلة قوم معينين، ونزل ليكون دين الجزيرة العربية فقط.

- حاولوا أن يميعوا عقيدة الحب والبغض في الله والولاء والبراء في الإسلام.
- الدعوة إلى القومية.
- الدعوة إلى تقارب الأديان وإذابة الفوارق بينها.
- إنشاء فرق ضالة تدعو إلى مسخ الجهاد في الإسلام كالقاديانية والبهائية والبابية.

ونحن لا نستحي من ديننا، ولا من أوامر ربنا، نقولها بصراحة دون تلعثم ولا مواربة ولا جمجمة ولا غمغمة.

- إن الجهاد فريضة ربانية في هذه الأمة لإنقاذ الأرض كلها من جور الطواغيت واستعباد الطغاة إلى عدل الإسلام ورحمة هذا الدين.

- إن دين الله دين للبشرية جمعاء، ونحن نريد نشره حتى يعم ربوع العالمين.

ولكن السيف لأكابر مجرميها وسدنة الكفر وأئمة الطغيان الذين يعبّدون البشر لأنفسهم من دون الله، والذين يدعون لأنفسهم الألوهية عملاً، وإن لم يصرحوا بها قولاً.

أقول: إن السيف لإزالة الحواجز من الأنظمة الكافرة والعقبات الاقتصادية والاجتماعية التي تحول دون استمتاع الشعوب بدين الله وتمنعهم من التفيؤ في ظلاله.

وبعد إزالة هذه الحواجز من أمام الدعوة الإسلامية يعرض على الشعوب فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

لأيام الشدائد

يروي ابن هشام عن ابن إسحاق في السيرة قصة طريفة في فتح مكة وخلاصتها أن رجلاً من الكفار من بني بكر اسمه حماس بن قيس بن خالد كان دائم العناية بسلاحه فقالت له امرأته: لماذا تعد ما أرى؟ قال: لمحمد وأصحابه. قالت: والله ما يقوم لمحمد وأصحابه شيء، قال: إني لأرجو أن أخدمك بعضهم (أي: آتيك بخادم من المسلمين)، ثم قال: وجاء يوم الفتح والتفت مجموعة من صناديد قريش في الخندمة (مكان أسفل مكة)، وكان من بينهم عكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وسهل بن عمرو وقابلهم خالد يقود المجنبة اليمنى لجيش الفتح الزاحف فناوشهم خالد شيئًا من قتال فأصابوا من المشركين اثني عشر رجلاً، فانهزم المشركون وانهزم حماس بن قيس الذي كان يعد السلاح لقتال المسلمين حتى دخل بيته هاربًا، فقال لامرأته: أغلقي علي بابي **فقالت: وأين ما كنت تقول، فقال:**

إنك لو شهدت يوم الخندمة   إذ فــر صفوان وفر عكرمه
واستقبلتنا بالسيوف المسلمة   يقطعن كل ساعد وجمجمة
ضربا فلا يسمع إلا غمغمة   لهم نهيث خلفنا وهمهمة
لم تنطقي في اللوم أدنى كلمة

وهذا حال معظم المسلمين اليوم كما يقول المتنبي:

غيري بأكثر هذا الناس ينخدع   إنْ قاتَلُوا جَبُنوا أوْ حدّثوا شجُعُوا

أعداء الله يتناوشونهم من كل جانب كالخراف في الليلة الشاتية تمزقها الذئاب وتفترسها الكلاب، ولا تسمع صوتًا من أولي الألباب.

كأنك تعيش في قفار يباب لا ينعق فيه سوى البوم والغراب.

الدواوين عامرة... الألسنة منطلقة.. المنتديات زاخرة.. إن أنشدوا هزوا الأرض بالتهديد والوعيد وزلزلوا المعمورة بالادعاء، وعندما تأتي أيام الشدائد تتلفت حولك فلا تجد أحدًا!!

تبلد الحس وتجمد الدم.. ولم تعد تلك الغيرة الإسلامية والحرقة الإيمانية التي تحرك أمير المؤمنين من بغداد على رأس جيش استجابة لاستغاثة امرأة في عمورية..

ونحن نقول: لقد بنى الأفغان سدًّا من الجماجم تعداده مليون ونصف مليون جمجمة حمى الإسلام من طوفان الشيوعية العفن ومن تنينها الشرس.

وختامًا نقول لكم: ادخروا الطاقات لأيام الشدائد!!!!



الإسلام بين العالمية والإقليمية

لقد جاء هذا الدين لينقذ الإنسان في الأرض من حمأة الطين إلى آفاق العقيدة المشرفة، ومن تجمع الناس على الحظيرة والكلأ والعون إلى تجمعهم على العقيدة والفكر، وكانت النواة الأولى التي بدأت مسيرة هذا الدين على الأرض تضم صهيبًا الرومي وبلالاً الحبشي وحمزة العربي ثم سلمان الفارسي، وقد فهم المسلمون الذين اعتنقوا هذا الدين وضحوا من أجله بالغالي والرخيص أنهم قد تطهروا من نتن القوم ومن ظلمة الطين، وتدرجوا صعدًا من السفح الهابط إلى القمة ليستنشقوا أرج الآفاق العليا، وعبق هذا الدين الفواح.

ولقد أقض هذا الدين مضاجع أعدائه خاصة أوروبا التي شنت حربًا شعواء دينية صليبية امتدت قرنين كاملين حيث تطهرت بلاد الشام منهم.

وكانت أكبر حربة وجهت إلى أوروبا والعالم النصراني فتح القسطنطينية على يد محمد الفاتح. وعندما هاجم نابليون مصر سنة 8971 م واستخف بالأزهر وضربه بالمدفعية وأدخل خيله الأزهر فقام الأزهر وحرك الشعب المسلم في مصر، وأخيرًا قام سليمان الحلبي أحد تلاميذ الأزهر وقتل كليبر خليفة نابليون الفرنسي على مصر.

وعندها فكر الغرب بأنه لابد من اجتثات الإسلام من أعماق هذه الشعوب الإسلامية وتمزيقها بالدعوات الإقليمية والقومية.

فكان لابد من تمزيق الدولة الإسلامية العثمانية واستبدال القومية بالإسلام.

- فبدأت الدعوة إلى القومية العربية.
- جاء محمد علي باشا سنة 5081 م إلى عرش مصر وبدأ بالتغريب والعلمنة.
- ضرب الخلافة الإسلامية في عقر دارها في استانبول.
- بعد أن انتشرت الأفكار القومية على يد النصارى صار العرب يقدمون العربي النصراني على المسلم التركي والباكستاني والأفغاني، ووقف العرب في الحرب الأولى ضد الأتراك مع الإنجليز والفرنسيين الصليبيين.
- ثم انتقل الغرب خطوة أخرى: وهي إحياء العصبية الإقليمية النتنة.
- ومزق العالم الإسلامي شر ممزق وتفرقوا شيعًا.

والحمد لله: لقد كانت الصحوة الإسلامية من بشائر الخير الكبيرة في العقدين الأخيرين، ولكن رواسب الجاهلية تكون ثقلاً ضخمًا على قلوب الشباب المسلم، لا زال الشباب المسلم مرتبطًا بالحدود الجغرافية التي رسمها أعداؤه.

لا زال الشاب يشعر بالوحشة والغربة تجاه أخيه الذي يحمل نفس مبادئه ويعاني في أعماقه من الآلام ويكابد من الأشواق والآمال التي تداعب خياله نفس الذي يعانيه أخوه.

ولكن الإحساس لم يصل إلى نفس الحرارة والحرقة التي يحس بها لمن يشاركه قطعة الأرض الصغيرة المسماة بالدولة، وإن كانت مدينة واحدة.

لا زال وجهه لا يتمعر غضبًا لله على دماء تسفك وأرواح تزهق من إخوانه المسلمين على مقربة منه؛ وذلك لأن لون جواز سفره أخضر، وجواز سفر أخيه أزرق.

ثلة الشرف والفخار

إن كلمة العربي تعتبر شبه مقدسة عند قادة الأفغان الكبار، وكم من قضية كبرى لا يبتون بها إلا أن يرجعوا إلينا، وكم من مشكلة بين الفصائل ما حلها بإذن الله إلا وجود العرب، وإن المجاهدين الأفغان ليخجلوا كثيرًا أن يحصل بينهم خلاف في وجودنا، بالإضافة إلى استحيائهم -من أنفسهم- عندما يوسوس لهم الشيطان بالهجرة تحت ضغط الحاجة وثقل الجوع وحزن العوز، فكم من أسرة ليس لها معيل إذ عائلها الوحيد منذ سنوات في أرض المعركة لا يستطيع أن يكد للحصول على الرغيف لأسرته، ولا تطاوعه نفسه أن يفارق الجبهة، وهو يرى العربي بجانبه قد هاجر من موطنه والدنيا مقبلة عليه بخضرائها من أجل أن ينال شرف الجهاد.

ودعك عن الدور التربوي الهام الذي يقوم به الشاب العربي من تعليم القرآن والأذكار بعد الصلوات، وتعليمهم صيام الاثنين والخميس وقيام الليل وغير ذلك.

أسود خضابهم دم الأسود

إننا نواجه أحيانًا في السير والمغازي قصصًا من البطولات الفذة التي يحسبها القارئ -الذي لم يذق طعم الجهاد ولم يزاوله واقعًا في عالم الحياة- أقول: يظنها القارئ ضربًا من تهويلات المؤرخين المشدوهين بإشراقة هذه الفترة الفذة من التاريخ، وأحيانًا يطوي كشحه (يميل جانبه) لا يريد أن يلقي بأذن صاغية لهذه القصص التي يظنها القاعدون ضربًا من الأساطير نسجه خيال المؤلفين.

والحق الذي لا مرية فيه أن الذي يعيش حياة الجهاد ويرى ضروب البطولات الرائعة والتضحيات الرائدة التي يقدمها المجاهدون تصبح هذه القصص لديه من المسلمات والبدهيات التي لا تحتاج إلى إعادة ولا تكرار، ودون حاجة إلى إيراد البراهين والأدلة على صدقها.

ملحمة الإيمان

الشرارة

كان اليوم السادس والعشرون من رمضان هو بداية المعركة، دك المجاهدون قواعد الكفار دكًّا شديدًا، وكان يومًا مشهودًا لا ترى السماء تمطر إلا نارًا وحديدًا، وتوالت الأيام والانتصارات تتوالى.

مرئيات وأسباب ومعطيات:

ومن خلال مراقبتي لمجريات المعركة رأيت أن العدو قد تكبد خسائر فادحة في المعدات والأرواح، فما من يوم يمر إلا وتدمر مجموعة من الآليات ويسقط بمعدل طائرة واحدة كل ثلاثة أيام. وهناك أسباب رئيسة كبرى للتحول الذي جرى في هذه المعركة ولصالح المجاهدين.

أول هذه الأسباب:

1 - لطف الله العظيم الذي كان يلف المنطقة كلها بعنايته.

2 - استبسال الإخوة العرب في داخل المعركة.

3- وجود أجهزة اللاسلكي مع الرصد المتقدم المتيقظ الذي كان يوجه كل قذيفة تخرج من خلال أسلحة المجاهدين.

4 - وجود القيادة في وسط المعركة خاصة الشيخ سياف الذي لم يغادر أرض المعركة لحظة واحدة.

5- مهارات المجاهدين في استعمال أسلحتهم خاصة الثقيلة منها، فقد كانت ضرباتهم مسددة.

6 - جبهـــات السحر الخاصة بالدعاء للمجاهدين والتي كانت تردد: (اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم).

7 - اتحاد كلمة المجاهدين.

هذه هي الأسباب في نظري التي أدت إلى ميلان الكفة لصالح المجاهدين، وإلى ارتفاع الخسائر في الأرواح والمعدات لدى الكافرين.

تحطيم القيود

إن أهم أغراض الجهاد في سبيل الله هو رفع الظلم عن الناس، بل ما تنزلت الشرائع كلها إلا لإقامة القسط في الأرض ورفع الظلم عنهم.

إن رفع الظلم عن الناس هي مهمة الأنبياء التي من أجلها تنزل الروح الأمين من السماء، وله نزلت الشرائع وأوحى الله بالكتب، واستمراء الظلم وقبول الهوان والاستنامة تحت نير العبودية قرين الكفر.

وإن المستضعفين في الأرض الذين يعيشون تحت أقدام الجبابرة ليستحقون الخزي في الدنيا، والعذاب في الآخرة.

ولذا كانت أول آية نزلت لإباحة القتال تشير إلى العلة الحقيقية والسبب الرئيس له وهو إزالة الظلم: (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا....) [الحج: 93-04].

ونحن نقول:

1 - إن فريضة الجهاد من أهم الفرائض التي افترضها الله.

2 - إن مزاولة الفرائض الإسلامية وأداءها أمر إلهي وتكليف رباني.

3 - لقد ظلمنا في كثير من البلدان الإسلامية وحرمنا من أدنى الحقوق التي تتمتع بها الحيوانات.

4 - وبعد أن سلمنا أوطاننا لأعدائنا وحرمونا أن ندافع عن مقدساتنا وأن نحمي أعراضنا بعد هذا كله حاولنا أن نجمع من بقي في قلوبهم غيرة أو ممن يحمل في نفسه بقية من رجولة أو شهامة نحاول إزعاج اليهود الذين دخلوا المسجد الاقصى آمنين مطمئنين فأبوا علينا وتكالبوا بقواتهم يحولون بيننا وبين أعدائنا بخيلهم ورجلهم..

5 - وبعد أن أبوا علينا الجهاد وحرموا علينا فريضة الإعداد، وأصبح السلاح في العالم العربي جريمة يؤخذ عليها بالنواصي والأقدام، وعندما أبينا أن نموت مستضعفين في الأرض تحت أقدام الطغاة وننفض الذل عن عواتقنا، وخجلنا أن نرفع الشعارات البراقة والآمال العريضة ونحن في ذل العبيد قررنا أن نهجر الأرض التي يحرم فيها الجهاد ويعتبر جريمة موبقة رعناء.

إن تحريم الجهاد كفر يخرج من الملة، وإن محاربة أولياء الله ومطاردتهم في بلادهم وإحصاء أنفاسهم وعد نبضاتهم وتكميم أفواههم عمل عظيم عند الله يؤدي إلى خراب البلاد وهلاك العباد.

فماذا تحكم الشريعة الإسلامية على الذين يحرمون الجهاد؟ ويسمون الزنا فنًا والربا فائدة والإسلام رجعية والتمسك بدين الله تطرفًا وانحرافًا؟

عزيمة وتصميم

لم يكن يدور في خلدنا حينما فكرنا في الدخول إلى أفغانستان أن الحاجة ماسة للعرب كما اكتشفنا بعد دخولنا.

إن الذي كان يدور في أذهاننا من مقاصد الدخول ثلاثة أسباب رئيسة:

أولها: معرفة واقع الجهاد الأفغاني على حقيقته فوق أرض الواقع.

ثانيًا: تسليم المساعدات الضئيلة القليلة يدًا بيد للمجاهدين الذين لم يغادروا خنادقهم منذ احتدام القتال أيام تراقي 8791.

ومن خلال المعايشة مع الجهاد الأفغاني أدركنا أن هنالك قضايا أخطر يحلها دخول العرب للجهاد.

ومن هذه القضايا الرئيسة:

1 - نقل الجهاد من قتال قوم ضد روسيا إلى جهاد إسلامي عالمي.

2 - رفع معنويات المجاهدين الأفغان التي تأثرت بطول الطريق وكثرة التضحيات.

3 - تعليم المجاهدين: وهذا دور يمكن أن يقوم به العرب؛ إذ إن أماكن الدعاة في هذا المجال شاغرة ولايسدها غيرهم، إن حاجة الجهاد الآن إلى الرجال الدعاة الحكماء أشد من حاجته إلى السلاح وإلى الأطباء والمهندسين والعسكريين وغيرهم من أصحاب الاختصاصات.

إن الجهاد الأفغاني بحاجة شديدة إلى المال ولكن حاجته للرجال أشد.

4 - إيقاف سيل الهجرة المتدفق فوجود العربي في داخل الخندق مع المجاهد الأفغاني يجعل الأفغاني يستبعد فكرة الهجرة، وكم من القادة الكبار قد منعهم من الهجرة وجود شاب عربي غض الإهاب بجانبه.

5 - تحريك القتال باستمرار ضد الروس: فإن العربي يأتي إلى أفغانستان متعطشًا لدخول المعارك ولا يفتأ صباح مساء يبدئ ويعيد في قضية المعارك حتى يدخل الأفغان في معركة ولو اضطرارًا، وهذا مهم جدًّا لبقاء الكفار في ارتباك واضطراب لا يتوقف مما ينهك قواهم ويضاعف نفقاتهم وجنودهم وخسائرهم.

6 - مشاركة الطاقات الإسلامية في المعركة وصهر جميع هذه الطاقات في بوتقة الجهاد المبارك الإسلامي في أفغانستان، وعلى رأسها الطاقات العسكرية والهندسية والإعلامية والطبية.

7 - تقليل الاختلافات بين الجبهات والتنسيق بينها في العمل، ثم توحيدها في النهاية.

مخاوف اليهود

أخذ اليهود في أمريكا وفلسطين يحذرون من مغبة هذا التجمع وصاروا يوغرون صدور الذين يمثلون مسرحية مطاردة المسلمين وخنق الشباب الصادقين، فصارت التأشيرة إلى باكستان أصعب من تأشيرة الدول البترولية، وعلى الطريق إلى أفغانستان أعطيت التعليمات بعدم السماح لأي عربي أن يمر عبر بعض النقاط البوليسية، وصار الشباب يمتطون صهوات الجبال ويمشون ليتخطوا نقطة بوليسية فيها ضابط شديد أو عتل جبار عنيد.

ولذا فإننا أخذنا على أنفسنا أن نواصل تحريضنا للشباب العربي بالقدوم إلى أرض الجهاد، وأن لا نتوقف في مسيرتنا نتحمل أقصى ما يمكن أن نحتمله من أعباء الجهاد الأفغاني، وأن نبذل قصارى جهدنا في محاولة إعادة العلماء إلى داخل المعركة بكفالة أسرهم، وكذلك حفظ ماء وجوه القادة الذين يرابطون في الميدان منذ عشر سنوات نخلفهم في أسرهم بخير.

مسيرة شعب الإباء

يكاد المؤرخون يجمعون على أن أكثر شعب في القرون الثلاثة الأخيرة إن لم يكن أكثر شعب في البشرية ضحى لصون كرامته وحفظ عزته وحماية شرفه هو الشعب الأفغاني المسلم.

إجماع:

ويجمع المراقبون أن الجهاد الأفغاني خارقة من خوارق العصر أذهلت المؤرخين أن يفسروها، وحارت عقول المراقبين في فهمها، وكما قال الصحفي الكندي عندما رأى انتصار المجاهدين على الروس: (إنها حقائق ولكني لا أستطيع تفسيرها)..

وقد كنت أتحدث مع فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز عن الجهاد فقال: ما كنا نظن أن هذا الشعب يصمد أمام الروس سبعة أيام فضلاً عن أن يصبر سبع سنوات.

لقد كان القتال ضد الروس سابع الانتفاضات التاريخية للأفغان:

أعلنت الحركة الإسلامية جهادها المسلح ضد داود سنة 5791، وكان على رأس الحركة آنذاك (رباني وسياف وحكمتيار)، ثم كان الجهاد العام والنفير الكبير بعد الانقلاب الشيوعي السافر الذي جاء بتراقي إلى الحكم في 72 نيسان سنة 8791 وقد أعلنه العلماء وانضموا وراء ركب الحركة الإسلامية التي سبقتهم إلى الميدان بثلاث سنوات.

والآن:

مضى على الشرارة الأولى التي انطلقت ضد داود سنة 5791 واستمرار المعركة إلى أيام تراقي

حيث اندلع الجهاد في كل أفغانستان إلى يومنا هذا ثلاثة عشر عامًا، والحمد لله فالمجاهدون منتصرون وصامدون.

فهل يكون الجهاد الأفغاني بداية التحول التاريخي للإسلام؟ أم هل يكون الجهاد الأفغاني بداية تحول تاريخ العالم أجمع؟

مصانع الأبطال

إن للأم دورًا كبيرًا في بناء الجيل، وبقدر النجاح الذي تحققه في تربية الأم يكون النجاح الذي تحرزه في بناء الأمة وصناعة الأبطال، ولذا كان الحفاظ على هذا الود ومقابلة هذا الجميل بالوفاء والبر فريضة من فرائض الإسلام مقرونة بكلمة التوحيد: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا) [الإسراء: 23].

ويعتبر العقوق قرينًا للكفر، ويحتل احترام الأم منزلة رفيعة في سلم الإسلام، وله ثقل كبير في ميزانه.

وفي أفغانستان المسلمة نماذج رفيعة من الأمهات سواء من داخل أفغانستان أو من العالم الإسلامي نتعرف عليها من خلال الرسائل التي تردنا عبر بريد مجلة الجهاد، ومن خلال هذه النماذج فاطمة أم فيصل المكية.

فلقد كانت فاطمة أم الأولاد الستة تحلم أن ترى ابنها فيصلاً يحظى بفتاة أحلامه، ولم يبق من أبنائها غيره ممن لم يكمل نصف دينه الآخر.

وحين فاتحها ولدها بما يكنه بين جوانحه قائلاً:

لقد قرأت كتابًا عن الجهاد الأفغاني اسمه: (آيات الرحمن في جهاد الأفغان) يتكلم عن قضية خطيرة كبيرة في حياة المسلمين وهي قضية الجهاد.

قالت: ولكن هذه البلاد بعيدة جدًّا، فأجابها: أولسنا المسلمين؟ أو ليست أرض الإسلام كالبقعة الواحدة؟

وطفق فيصل يرتب نفسه ويعد للأمر عدته، ويتخذ له أهبته وفاض الغرام واحترق الكبد من الشوق، فباع أثاث زواجه واستعد للرحيل نحو الجهاد، وتعلقت أمه به، لا بد أن أرافقك مسيرة طريق العرق والدماء ولا بد أن أسير فوق جادة الجهاد.

ويعجب فيصل: وهل لمثلك دور في هذا الدرب المضني؟ سيما وقد نيفت على السبعين؟

وتجيب الأم: نعم أستطيع أن أغسل ثياب المجاهدين، وأن أطبخ طعامهم.

وتصر الوالدة على القدوم إلى أرض الجهاد وقدمت فاطمة إلى بيشاور وزارت الأرامل والأيتام، وحاول ابنها أن تعود إلى جدة، وبعد جهد جهيد توصلا إلى قبول تحكيمي فقالت له: لن أرجع حتى أسأل الشيخ عبد الله عزام.

وجاء فيصل بأمه لتطمئن إلى جواز رجوعها إلى جدة، وإلى الحكم الشرعي أن الله يعذرها بالعودة فأفتيتها بجواز رجوعها فغادرت وهي مطمئنة أنها من أصحاب الأعذار.

نظرت إلى هذه العجوز بإكبار وانبهار، ثم قلت في نفسي أنها مكية ولعلها قرشية، فلا غرو في هذا فقد قال صلى الله عليه وسلم: (خير نساء ركبن الإبل نساء قريش، أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده) متفق عليه.

نموذج فقط:

وليست القصة هي قصة فاطمة -أم فيصل- وحدها، ولكنها قصة الكثيرات اللواتي يتقلبن على اللظى شوقًا لرؤية الجهاد، وتحلم كل واحدة منهن بفتى أحلامها أن يكون ممن يمتشقون السلاح، ويمتطون صهوات الجياد، ويحيون في قمم الجبال.

الرسائل:

وكم من الرسائل ترد إلينا من فتيات جامعيات أو معلمات ومن جميع الطبقات أنها تود أن تحظى بمحرم يحضرها إلى أرض البطولات، أما وقد يئست أن تجد من محارمها في النسب فلا عدمت أن تجد المحرم الأخير وهو الزوج.

هكذا علمني الجهاد

لم يعد خافيًا على ذي بصيرة أن الجهاد الإسلامي في أفغانستان أصبح مدرسة فذة يتتلمذ فيها العالم الإسلامي أجمع.

وقد شرفني الله أن أكون بين التلاميذ الذين ينهلون من معين هذا الجهاد، وأستطيع بعد ست سنوات متواصلة من هذا الشرف العظيم أن أسجل على عجل وبخطوط عريضة بارزة القواعد الكبرى **التي خلصت إليها من أفغانستان وفلسطين، فأقول:**

أولاً: إن عقيدة القدر لا يمكن أن تتجلى واضحة في النفس البشرية في ميدان أكثر منه في ساحة الجهاد، ولا يمكن أن تتمثل عقيدة التوكل على رب العالمين حية بمثل أرض القتال وميدان

النزال، وخاصة في قضيتي الأجل والرزق اللتين تمثلان أعظم عمودين في الحياة البشرية.

العقدة الكبرى: إن أكبر عقدة في حياة الدعاة هي عقدة الخوف (الخوف على الرزق والأجل) فإذا انحلت هذه العقدة انحلت العقد كلها، وفي هذه الأيام أصبحت عقدة المخابرات هي العقدة التي أحالت الدعوة والحركة إلى إشارات خفية وألغاز معماة سرية، وذلك لأن المخابرات يمثلون شبحًا رهيبًا يطارد الدعاة في سباتهم، ويقض عليهم مضاجعهم، وذلك خوفًا على رزقهم أو أجلهم.

والجهاد: تحرر من جميع العقد.

ثانيًا: العزة: ومما علمني الجهاد أن المسلم أعز مخلوق في الأرض إذا كان مجاهدًا؛ لأن أعز ما يملك المرء هي الروح، وهو يخاطر بروحه ويعرضها كل يوم على خالقها ليتسلمها، فكيف يمكن لهذا الإنسان أن يحني هامته أو يذل عنقه لإنسان؟

ثالثًا: حقارة الحياة وصغرها في نظر المجاهد.

رابعًا: وتعلمت أن الحياة الحقيقية هي حياة الجهاد والمجاهد، ولذا فإني أعتبر عمري الآن سبع سنوات، وهي التي قضيتها في الجهاد ست منها في أفغانستان، وسنة وبضعة أشهر في فلسطين.

خامسًا: وعلمني الجهاد أن الإسلام شجرة لا تعيش إلا على الدماء، فإذا جفت الدماء ذوت عروق هذا الدين وذبلت واضمحلت وضمرت.

سادسًا: وخرجت من الجهاد بيقين: أن الجهاد ضروري جدًّا للحركة الإسلامية، وكذلك فالحركة الإسلامية ضرورية لإشعال زناد الجهاد وقيادته، والشعب ضروري للحركة الإسلامية حتى يستمر جهادنا بهذا الوقود وهو الشعب..

سابعًا: إن هذا الدين لا يفهم إلا من خلال الجهاد به لإقراره واقعًا في الأرض، والذين يقضون حياتهم بين صفحات الكتب وأوراق الفقه لا يمكن أن يدركوا طبيعة هذا الدين إلا إذا جاهدوا لنصرته، فهذا الدين لا يفهم أسراره فقيه (وإنه لجهل فاضح بطبيعة هذا الدين أن يفهم أحد أنه يستطيع التفقه في هذا الدين وهو قاعد يتعامل مع الأوراق الباردة، ويستنبط الفقه من قوالبه الجامدة، إن الفقه لا يستنبط إلا في مجرى الحياة الدافق ومع الحركة بهذا الدين في عالم الواقع) سيد قطب.

ثامنًا: وعلمني الجهاد: أن الدولة الإسلامية لا يمكن أن تقام إلا من خلال جهاد شعبي طويل، ومن خلال هذه المسيرة تبرز القيادات الحقيقية من خلال الشجاعة والتضحية، ويكون الخليفة أحد هؤلاء المجاهدين، ولقد كان ميزان التفاضل بين الصحابة عدد الغزوات والسرايا التي شهدها، ولذا لم يحتج أبو بكر عند إجماع الأمة على انتخابه خليفة إلى تزكية أحد أو إلى دعاية انتخابية.

تاسعًا: وعلمني الجهاد: أن الدولة الإسلامية التي تقوم من خلال الجهاد لا يمكن القيام بانقلاب عسكري عليها؛ لأن الناس كلهم يحملون السلاح، ولأن مقادير القيادة فيها برزت من خلال أعمالهم وصبرهم وتضحياتهم.

عاشرًا: وعلمني الجهاد: أن الجهاد أفضل وسيلة لتربية النفس البشرية؛ إذ إن الخطر يعري الفطرة لبارئها، وأهوال الحرب تفتح القلب للاتصال بخالقه.

أصالة الشعب الأفغاني المسلم.

من نعم الله على أفغانستان أنها ما حنت هامتها لمستعمر، ولا أذلت عنقها لغاز إلا لله الذي ساق جنده يحملون مشاعل نور الإسلام.

لقد نفى كير أفغانستان كل خبث غريب وطئ أرضها، ولفظت أرضها الطيبة كل نجس جاء يدنس تربتها.

أما عن حياء الشعب الأفغاني: لقد سارت به الركبان وتحدث به الشعراء خاصة عن حياء المرأة.

وأعداء الله يدركون أكثر من غيرهم أن تدمير فطرة المرأة هي أقصر طريق لانهيار المجتمع،

ولذا فقد ركزوا على المرأة في البلدان الإسلامية خاصة في:

تركيا: عاصمة الإسلام السياسية.

ومصر: عاصمة الإسلام العلمية.

وكانت الأنظمة الثورية هي القفاز الذي يضرب به أعداء الله، والحربة التي يمزقون بها حجاب المرأة، ويمسخون شخصيتها، ويدمرون إنسانيتها.

ولقد تمرد الجيل بجنسيه -ذكرهم وأنثاهم- على القيم والمبادئ ومزقوا برقع الحياء، وانفلتوا من كل التقاليد المحافظة والآداب الاجتماعية، وانطلقوا لا يلوون على شيء، فلا حرمة لأب ولا لأسرة ولا لدين ولا لمجتمع.

أما في أفغانستان:

فقد وجدت المرأة فيها قلعة شامخة وحصنًا حصينًا يأوي إليه هذا الدين كلما اشتدت المحن وادلهمت الخطوب.

ولقد رأيت المرأة الأفغانية أثناء هجرتها تمسك ابنها بيد وتمسك بالأخرى نقابها الذي تخشى أن يسقط عن وجهها على طول طريق العرق والدم والمرارة والحرمان وهي تكابد حرارة الجو اللاهبة ولفح الهجير في حمّارة القيظ.

أما عن احترامهم للشعائر الإسلامية وأهلها فحدث عنه ولا حرج:

فعلماؤهم وحفظتهم يحتلون مكانة مرموقة في المجتمع وفي أعماق قلوب أبنائه، وتجد الأفغان جميعًا مؤمنهم وفاسقهم وفاجرهم يجل العالم ويحترمه.

أما عن القرآن وأهله:

فحامل القرآن له توقير عجيب وإجلال غريب واحترام كبير في نفوس الأفغان؛ فالأفغان يحملون أمتعتهم وأسلحتهم على الخيول والبغال، ولكنهم يرفضون أن يضعوا عليها المصاحف مهما كانت ثقيلة وناءت بحملها كواهلهم.

ولا يمكن للأفغاني أن يتقدم على حامل القرآن أو يسبقه في شيء أو يتصدر عليه في مجلس.

أما الترفع عن الدنايا:

فكفى الأفغان فخرًا أن منهم ثلاثة ملايين ونصف المليون في باكستان تسحقهم الفاقة ويبيد العري والمرض والجوع خضراءهم، ومع هذا كله: يصعب على البوليس الباكستاني أن يسجل حادثة سرقة.

ولقد رأيت أن أصالة الشعب الأفغاني بإباء رجاله وحصانة نسائه مع الحياء والعفة والوفاء وسلامة الجبلة والفطرة تكون لمجموعها: قاعدة صلبة يمكن أن يقام عليها هذا الدين ويشاد فوقها صرحه العظيم.

فهل ينتبه المسلمون إلى هذا الكنز العظيم بين أيديهم (الشعب الأفغاني وجهاده)؟ وهل يقف المسلمون بجانب هذا الشعب الكريم وينهلون معه من نفس المعين؟ هل يبادر المسلمون للحفاظ على هذه القاعدة الصلبة لعلها تكون بإذن الله المنطلق لهذا المارد الجبار ولهذا العملاق الكبير ليحرر الإنسان المعذب في الأرض؟ أم تفلت من بين أيديهم هذه الفرصة الذهبية كما أفلتت من أيديهم فرص كثيرة؟

مدرسة الجهاد الإيمانية

لقد سمعت الرئيس الباكستاني ضياء الحق ذات مرة يتحدث قائلاً للسفير الروسي: لقد وصلت روسيا القمر وغزت الفضاء ولكن يبدو أنها لم تدرس التاريخ، فسأله السفير الروسي وكيف؟ فقال: لو درست التاريخ لما غلطت هذه الغلطة الكبرى وهي دخولها إلى أفغانستان!

الجهاد ضد الشيوعية:

طول مدة الجهاد:

إن حكمة الله البالغة قضت أن تفشل محاولات الإطاحة بنظام داود العلماني ليأتي الله بهذا الجهاد على يد هذا الشعب المجاهد الفذ، وشاءت إرادة الله أن يستمر هذا الجهاد هذه السنين العشر التي دارت فيها رحى الحرب ثقيلة سريعة تطحن أعصاب هذا الشعب وتسحق أبناءه، ويدفع فيها الثمن باهظًا، والتكاليف عالية، والتضحيات جبارة، ليتحول الجهاد إلى مدرسة إيمانية وجامعة ربانية تتفتح على حرارتها براعم كامنة في أرجاء العالم الإسلامي.

عقيدة التوكل على الله:

لقد بنى الجهاد الإسلامي في أفغانستان عبر السنين التسع الماضية عقيدة التوكل على الله في قلوب أبناء هذه الأمة المسلمة، وأعاد الثقة بالله -سبحانه- في أعماقهم، فعندما يشاهد الشاب هوان روسيا وإذلالها على يد هذا الشعب البطل الفذ لا يملك إلا أن يردد: (لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده).

عندما يسمع المؤمن جنديًّا روسيًّا راجعًا من أفغانستان يصرح على التلفاز الأمريكي قائلاً: (عندما نسمع صيحة الله أكبر نبول في ثيابنا) يدرك عظمة رب العالمين وهوان الكافرين وعزة المؤمنين.

أثر الجهاد الأفغاني في نفوس الشعوب المسلمة:

وعندما يقف الشاب العربي المسلم فوق ذرى الهندكوش ويرى هزيمة روسيا أمام جنود الله الحفاة العراة الجياع يدرك أن إسرائيل لا يمكن أن تحتمل سوى عدة ضربات تحت مطارق الإيمان وأمام سياط جند الرحمن.

موقف الإعلام اليهودي الذي يسيطر على الغرب:

ولقد عز على اليهود أن يروا ثمرات هذا الجهاد المبارك توكلاً على الله، وثقة بعظمته. ومما أذهلهم أن يروا أن الشباب الذين أغرقوهم بالترف وشغلوهم بمتاع الدنيا الرخيص قد انطلقوا من المستنقع إلى هناك، فانطلق الإعلام الغربي يشوه صورة الجهاد، ويصور أن الجهاد عبارة عن مجموعات من قطاع الطرق يعيشون على تناول الحشيش والمخدرات، بل يزعمون أن هذا الجهاد المبارك إن هو إلا انتفاضات من القبائل التي تدافع عن مزارع الحشيش التي تصب عليهم مزاريب الذهب والجواهر.

أقول: هذا يصور في نظر العالم من خلال الإعلام الغربي اليهودي أنه حرب النجوم والكواكب، وأنه صراع بين العملاقين الكبيرين، وما الشعب الأفغاني إلا ألعوبة بيد أمريكا تقدمه وقودًا في معركة أهوائها ومصالحها وقرابين على مذابح شهواتها.

لقد عز على أمريكا أن ترى أن الجهاد الأفغاني أصبح يشغل ذهن كل شاب مسلم وأصبح الجهاد الأفغاني رمز العزة في نظر كل شاب مسلم، وأصبح المثل الرائع الذي يحاول الشباب تقليده أولئك الأبطال الذين يهزون الأرض تحت أقدام روسيا، فأصبح القادة والأبطال مادة الأناشيد، وحديث الشعراء، وأحرف الأدباء، وعادت الأسر تنتظر صدور المجلات الجهادية بفارغ الصبر، وكم من شاب أرسل إلينا يقول: إننا نقرؤها حرفًا حرفًا.

التكالب الغربي والشرقي على إيقاف الزحف:

ولذا ومنذ أن عاد نيكسون وكارتر من أرض المهجر والجهاد وأعلن نيكسون (أن المشكلة الكبرى هي الإسلام، ولابد من أن نتفق مع روسيا لإيقاف الزحف الإسلامي) منذ ذلك الوقت وأمريكا مع روسيا تبحثان عن مخرج من الورطة التي قد تودي بمصالحهم جميعًا فيما لو قدر الله للإسلام أن يقف شامخًا فوق أرض أفغانستان.

ثمار المدرسة الدانية:

وإنك لتستشعر العظمة الإيمانية والعزة الإسلامية وأنت تسمع تصريحات قادة الجهاد؛ إذ يصرح يونس خالص، ويقول: ما قابلت ريغان إلا لأعرض عليه الإسلام، وكذلك موقف حكمتيار وهو يرفض مقابلة ريغان.

إن الحكم إلا لله

يدرك كل من له طرف إلمام بهذا الدين، أن الدين قاعدته الكبرى ومحوره الأصيل هو لا إله إلا الله محمد رسول الله، والحكم بما أنزل الله جزء لا يتجزأ عن هذا الدين، فلو مثلنا هذا الدين بقطعة نقود فإن وجهها الأول مكتوب عليه: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) والوجه الثاني مسطر عليه: (إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم).

والحكم الإسلامي الذي يمثله شخص الخليفة لينفذ دين الله بقي شبحًا رهيبًا يقض مضاجع الغرب ويؤرق أجفانهم، وبقيت الإطاحة بهذا الصرح الشامخ شغل أوروبا الشاغل ثلاثة قرون، وأعملوا

فيه معاولهم حتى أجهزوا عليه في 4291/3/3، واتفقوا على أربعة شروط:

1- أن يطاح بصرح الخلافة.
2- سحق أية محاولة لإعادة الخلافة.
3- محاربة الشعائر الإسلامية.
4- اتخاذ قوانين غربية وضعية بدل الشريعة الإسلامية.

- وبعد الإطاحة بالخلافة اتفق العالم كله على:

1- اجتثاث أي تجمع يدعو للحكم بالإسلام من الجذور.
2- سحق طلائع البعث الإسلامي أينما وجدت.
3- تمييع عبادة الجهاد ومصطلحاتها وشن حملة رهيبة على هذه العبادة باعتبارها وحشية همجية لا تصلح إلا لشرائع الغاب.
4- إغراق الجيل في مستنقع جنسي آسن.
5- تصفية الأجهزة من ذوي الالتزام الإسلامي المتميز وخاصة أجهزة الأمن والجيوش والإعلام والخارجية والجامعات..

وقضية تنحية دين الله عن الحياة وإحلال شرائع وضعية مكانها خطوة هائلة، وقد كانت قاصمة الظهر لدى الأمة المسلمة في مشارق الأرض ومغاربها، ولم تصب البشرية نكبة أعظم منها.

والآن: والجهاد الأفغاني الإسلامي على أبواب قطف ثمرته، والروس يلمون أذيالهم لينسحبوا خزيًا نادمين بعد أن شهدت ذرى الجبال والسفوح والوهاد وشعاب الطرق هزائم ساحقة للجنود الحمر، وشمخت الهندوكوش بقممها تناطح عنان السماء عزة وافتخارًا وشكرًا لرب العزة الذي نصر عبده

وأيد جنده وهزم الأحزاب وحده.

أقول: الآن جاء دور التكالب العالمي حتى لا ترى هذه البقاع راية لا إله إلا الله الحقة ترفرف فوق أرض الدماء والشهداء.

شهادة التاريخ:

ولقد انتهت الحروب الأفغانية الإنجليزية الثلاث بمجيء رجل لم يرق نقطة واحدة من عرق جبينه في الجهاد.



والآن هنالك التكالب العالمي وإجماعه على أن لا تقوم دولة الإسلام بعد هذا الجهاد الإسلامي العريق.

وهنالك ألب قوى الكفر على حرمان قادة الجهاد من ثمار جهادهم ومنعهم من حصاد جني دماء مليون ونصف مليون شهيد، وحجتهم أن هؤلاء القادة أصوليون.

ظاهر شاه:

وهنالك الإجماع على إرجاع ظاهر شاه -الشيوعي الخبيث كاره الإسلام- وذلك لتجميع العلمانيين تحت لوائه وكنفه مع أن ظاهر شاه صحيًّا لا يستطيع أن يزاول حكمًا ولا يدير بلدية فضلاً عن أن يدير مملكة.

فهل يفتي عالم من علماء الإسلام أن الذي يفعل هذا يبقى في حظيرة الإسلام لحظة؟ إن هذا وأمثاله قد خلعوا ربقة الإسلام من أعناقهم.

ثم بعد هذا الجهاد المشرف والمجد الأمثل والعز الأصيل -الذي قدم له من التضحيات ما ناءت به كواهل الشعب الأفغاني- أقول: أبعد هذا نعود إلى النقطة التي بدأنا منها؟

أبعد أن جرت الدماء أنهارًا ودموع الأرامل واليتامى والثكالى جداول يحرم الشعب المسلم من التفيؤ في ظلال هذا الدين؟

كل هذا الجهاد الذي خلف وراءه قرابة مليون يتيم مع ثلاثمائة ألف أرملة وقرابة مليوني جريح ومعوق ومشوه، أبعد هذا نرجع إلى الطاغوت ظاهر شاه؟

هل أقبل العرب على هذا الجهاد ليعيدوا تنصيب الملك المخلوع على جماجمهم وأشلائهم أم من أجل نصرة الإسلام وإقامة حكم الله في الأرض؟

لقد نص دستور الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان أن الهدف من هذا الاتحاد إقامة حكم الله في الأرض المنبثق من قوله تعالى: (إن الحكم إلا لله).

وإن اشتراك أية جهة في حرمان الشعب الأفغاني المسلم من رؤية إسلامه متمثلاً في نظام الحياة جريمة تاريخية وخيانة كبرى لله ولرسوله وللمؤمنين، ومعرة ووصمة عار لن تمسح من جبين مرتكبيها على توالي الأيام وتعاقب الأزمان.

وختامًا نقول:

إن الجهاد مستمر -إن شاء الله- حتى ترتفع راية لا إله إلا الله خفاقة في أفغانستان.

القاعدة الصلبة

كل مبدأ من المبادئ لابد له من طليعة تحمله، وتتحمل وهي تشق طريقها إلى المجتمع تكاليف غالية وتضحيات باهظة، وما من عقيدة من العقائد أرضية كانت أو سماوية إلا واحتاجت إلى هذه الطليعة، وهذه الطليعة تمثل القاعدة الصلبة للمجتمع المأمول.

وشعار حامل العقيدة من أبناء هذه الطليعة لابد أن يكون: (قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين) [الأعراف: 591-691].

ما كنت أدرك أبعاد التركيز على طول فترة التربية المكية كما أدركها الآن بعد أن خضت غمار الجهاد الأفغاني، ولقد سبرت أعماق المسألة فوجدت التربية العقدية الطويلة: هي أساس المجتمع الإسلامي وعموده، وبدونها لا يمكن أن يقوم المجتمع الرباني، وإن قام فإنه سيكون هيكلاً هشًّا سرعان ما ينهار لهبة ريح أو مرور عاصفة.

وخرجت بقاعدة أساسية لبناء المجتمع الإسلامي وهي:

إنه لا يمكن للمجتمع الإسلامي أن يقوم بدون حركة إسلامية تشب على نار المحنة، وينضج أفرادها على حرارة الابتلاء، وهذه الحركة تمثل الصاعق الذي يفجر طاقات الأمة، ويقوم جهاد طويل تمثل فيه الحركة الإسلامية دور القيادة والريادة والإمامة والإرشاد.

الخطوط الرئيسة لتربية العصبة المؤمنة والطليعة الرائدة:

1- لابد أن تشب في أتون المحن وأمواج البلاء.

2- أن تكون القيادة المربية تشاركها مسيرة الابتلاء والعرق والدماء.

3- ولابد لهذه الطليعة أن تترفع عن متاع الدنيا الرخيص، ويكون لها طابع متفرد من حيث الزهد والتقشف.

4- وكذلك يجب أن تكون ممتلئة باليقين الراسخ بالعقيدة مع الأمل العريض الذي يملأ جوانحها بانتصارها.

5- ولابد من الإصرار والعزيمة على مواصلة السير مهما طال الأمد.

6- وزاد الطريق من أهم ضرورات المسيرة وهو النوافل والصبر والصلاة.

7- الولاء والبراء.

8- لابد أن تدرك المخططات العالمية ضد الإسلام.



وهناك أسباب رئيسة لهذه التربية الطويلة:

- لأن طول التضحية وفداحة التكاليف مع طول الزمن يؤدي إلى الملل واليأس، إلا إذا كانت هذه التربية العميقة هي صمام الأمن لهذه المسيرة.

- لأن الإغراءات والمساومات على الطريق مستمرة ولكنها كلما اقتربت من النصر تزداد العروض ومحاولات الاحتواء، فلا بد أن تكون القيادة عناصر غير قابلة للذوبان.

- لأن هذه القيادة إذا مكن الله لها في الأرض هي التي ستوضع بين أيديها الكنوز، وهي التي ستشرف على حماية أموال الشعب المسلم وأعراضه ودمائه.

فما لم تكن أمينة فويل للأمة من قيادتها.

حلوى رمضان

أم طبق فلسطين وأفغانستان

مآدب رمضان:

أقبل رمضان بمآدبه الفاخرة التي تتباهى بما يزخر فوقها من ألوان الطعام، وتتنافس بما تزدان به أطرافها من شتى ألوان الحلوى التي لا تكاد اليد تتناول من كل طبق لقمة ولا يستطيع الفم أن يتناول من كؤوسها -ولكثرتها- رشفة.

أقابل بين هذا وبين تلك الأسود الرابضة على تلل الجبال، وذرى التلال قلب هذه الأمة النابض، وشريان حياتها، هؤلاء درع الأمة الحصين، لا يجدون في سحورهم سوى الشاي المر والخبز الجاف، وكذلك الإفطار غالبًا لا يختلف عن السحور، ولا يكاد متسحر يأمل أن يفطر في غروب اليوم التالي؛ لأنه يعيش بين فكي الموت.

وهم بحاجة إلى رمضان المسلمين لتعد فيه البرامج التي تعدهم طيلة عامهم، **إن أصحاب المآدب والموائد في هذا الشهر الكريم بحاجة إلى:**

- أن يفترضوا أنه نزل بساحتهم ضيف من مجاهدي كابل في رمضان فأعدوا له طبقًا من الرز وصحنًا من الحلوى.

- وأن يتذكروا هذه الجموع الغفيرة من الأيتام التي يصعب على مخيلتي أن تنساها وهي تحمل الأواني -قرب أماكن القمامة- تنتظر الناس أن يفرغوا بهذه الأواني بعض فتاتهم وبقايا طعامهم، وكلما أقبل إنسان ببقية طعامه انقضوا عليه يرجونه والدموع تغمر وجوههم أن يسقط فتات

الخبز في صحونهم بدل إلقائها في القمامة.

- أن يخصصوا ما لا يقل عن نصف زكاة أموالهم لهؤلاء الجياع الذين يحمون الأمة الإسلامية بجماجمهم، ويخطون تاريخها بنجيعهم (بدمهم).

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية (لو ضاق المال عن طعام الجياع والجهاد الذي يتضرر بتركه فقال: قدمنا الجهاد وإن مات الجياع).

- أن يتبرع المسلم بجزء من ماله زيادة عن الزكاة.
- أن يكفل أسرة شهيد ويجهز غازيًا.
- الدعاء.

عيد الإسلام

وعيد المسلمين

مضت ليالي رمضان الجميلة وتشنفت الآذان بسماع القرآن الندي الشجي من أفواه المقرئين، وأسمعت النفوس بتلك الساعات الثمينة التي يقضونها قائمين يستعذبون بها حلاوة القرآن غضًّا طريًّا، وهناك في قمم الجبال وبين الوهاد والنجاد والأدغال رمضان آخر غير رمضان المسلمين اليوم. هنالك الثبات (فئات) من الضراغم والسرايا ممن يخطون تاريخ هذا الدين بالدماء، ويمسحون عن جبين هذه الأمة وصمات الخزي والعار.

وجبة واحدة:

نعم إنهم يأكلون وجبة واحدة ويشربون الطين المائي المنتن، وفي بعض المناطق لم يستطيعوا أن يوفروا الخبز فراحوا يبحثون عن الددم (ثمرة صغيرة برية) يسكتون آلام السغوب التي تأكل أعماقهم وتتلوى منها بطونهم.

آلام وآلام:

مسلمون تتلوى بطونهم تخمة لعسر الهضم، ولتلبد أنواع اللحوم والدهون في بطونهم، ومسلمون يصابون بالقرحة المعدية؛ لأنهم لا يجدون الخبز ولا الرز.

ومضى رمضان وبدأ الناس يستعدون للعيد: وبدأت إجازة العيد، وحجزت كل أسرة لكامل أفرادها شقة جميلة على ضفاف التايمز، أو في لوزان، أو على شواطئ تناريو أو فلوريدا.

هناك حيث تبدد الأموال، وهنا حيث يخوض الأبطال غمار الأهوال بين الشهب المنقضة من فوقهم، ويمشون فوق أرض الزلازل والبراكين المتفجرة بين أيديهم وأرجلهم.

والمسلمون في عيد المسلمين:

مشغولون بفطير العيد وعجين التمر الذي يصنع منه حلوى الفطر، وفي عيد الاسلام: الأيادي مشغولة بمعجون الجلكنيت والسيفور و, تصنع منها عبوات لتقض على أعداء الله منامهم وتدمر فوق رءوسهم بنيانهم، أو تخسف الأرض من تحت أقدامهم.

وفي عيد المسلمين:

كل شاب أو شيخ يلهث وراء اللباس الأنيق الذي سيرتديه في الأيام الأولى من شوال.

وفي عيد الإسلام الآن:

وعلى الحدود الباكستانية الأفغانية ترى الجموع المكتظة من جند الله تعالى كل يرتب أمتعته ويبحث عن أصحاب الخيول والبغال والعرق يجهده، عن أجرة الأمتعة والأثقال والذخائر التي جمعها في أرض القبائل ويشغل لبه ويحير فكره أجرة هذه البغال التي كادت تفوق تذاكر الطيران، فأجرة البغل قد تصل إلى ثلاثمائة دولار، وهذا مبلغ ضخم في حياة المجاهد؛ إذ يكاد خياله يقصر أن يدرك الطريق الذي يمكن أن يوفر به هذا المبلغ.

ثمن خبز الطريق:

وعلم الله أن ثمن الخبز في الطريق أصبح من العقبات الكؤود التي تعترض هذه المسيرة المباركة، وليس في المقاهي على طول الطريق الدامي الشاق المعلق بين السماء والأرض والممتد قرابة شهر ونصف سوى الخبز والشاي، ومع هذا فأين ثمن الشاي؟

وهناك مئات الألوف من الأيتام ينتظرون حتى ليلة العيد ويومه من يمسح على رؤوسهم بدل أيدي آبائهم الشهداء الذين قضوا نحبهم وهم يصبغون مجد الأمة بالدماء.

وهناك مئات الألوف من الأرامل تنتظر ليلة العيد صدقة الفطر حيث حدثني أحد الإخوة أننا في العام الماضي كنا ندخل بحفنات الرز (صدقة الفطر) على الخيام فيبكون فرحًا ليلة عيد الفطر.

وهناك مئات الألوف من المجاهدين ينتظرون ليلة عيد الفطر الحذاء والكساء والغطاء والدواء وخاصة في هذا الوقت العصيب الذي تنكرت فيه الدنيا بأسرها لهذا الجهاد المبارك وكشرت فيه عن أنيابها. وأجفل الصديق وبان العدو.



وهناك الآلاف المؤلفة التي ترصد لليلة العيد هديتها الثمينة بأن تحيل الدنيا جحيما فوق رءوس الروس وتحت أقدام الشيوعيين.
فهل تحول أموال عيد المسلمين لتصب في بوتقة عيد الإسلام؟ وهل توفر لعب الغلمان لنصنع بها روائع الزمان التي تتحدث بها الركبان...
ألا ليت قومي يعلمون!

محمد بن مسلمة

من المشهور والمعروف تاريخيًّا قصة قتل أبو رافع (سلام بن الحقيق) وكعب بن الأشرف، وتشير دلالتهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أزال من طريق الدعوة رأسين من رءوس الكفر بالقوة اغتيالاً، وذلك لأن الصارم لابد من استعماله لإماطة الرءوس المدبرة والعقول المفكرة التي لا تكف عن نصب الأحابيل ووضع العراقيل أمام هذا الدين، وكعب بن الأشرف وأبو رافع من زعماء اليهود ومن أئمة الكفر لديهم.
قال أبو بكر بن العربي عند آية: (... فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم...) [البقرة: 491].
قال علماؤنا: هذا دليل على أن لك أن تبيح دم من أباح دمك، وتحل مال من استحل مالك.
وقد أجمع العلماء: على جواز الدفاع المشروع ودفع الصائل على الأعراض والدماء والأموال.
فأما الدفاع عن العرض والنفس والمال: فهو فرض (واجب) بإجماع العلماء.
ولنرجع إلى الحكم الشرعي لاغتيال رءوس الكفر التي لا تكف لحظة عن التدبير ضد هذا الدين محاولة منهم لإطفاء نور الله بأفواههم، وهذا أمر تقتضيه الضرورة، إذ إن هذا الدين جاء لتخليص البشرية من نير العبودية، ولإنقاذهم من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ولا يمكن أن تخلص الطريق إلى الله من طواغيت يستعبدون الناس لأنفسهم من دون الله ويقفون أمام هذا النور المبين لتبقى الجماهير تتضور في دياجير الظلام، ليس لهم من هم سوى إرواء الشهوات وإشباع النزوات.
وكما قال زويمر -زعيم المبشرين المنصرين: (لقد أنشأنا جيلاً همه الشهوات، ويعيش من أجل الشهوات، وفي سبيل الشهوات يجود بأغلى ما يملك).
وإزالة أئمة الكفر وقادة الفتن حق طبيعي، وحكم شرعي رباني، وضرورة منطقية عقلية.



ضابط:

ولا بد من العلم أن هذا الأمر -اغتيال أئمة الكفر- راجع إلى العلماء الذين يقودون مسيرة الجماهير المتجهة إلى الله، وليس راجعًا لاجتهاد فردي.

بل مصلحة الجماعة التي يقدرها القائد ويحددها العالم المسؤول ببيان حكم الشرع وتوضيح الحكمة من هذا الأمر.

سنة مهملة:

ولقد سبب إهمال هذا الحكم الشرعي -اغتيال قادة الكفر- من الظلم الكبير والشر المستطير للأمة الإسلامية التي عانت الويلات، ودفعت الضرائب الفادحة من أعراضها ودمائها وأموالها ما لا يعلمه إلا الله.

وكان تطبيق هذه السنة النبوية والشرعة الإلهية بين الحين والآخر تخليصًا للأمة بكاملها من حياة السوائم إلى حياة الإنسان، وانتشالاً لها من مستنقع الطين.

فسليمان الحلبي قتل "كليبر"، فخلص الناس من جيش عرمرم من الفرنسيين.

وشاب متحمس خلص لبنان من غطرسة "المارينز" وجبروت ذوي الوجوه الحمر.

خلاصة:

(1) لابد أن يقف المسلمون الموقف الذي تتطلبه عقيدة البراء والولاء، فلا يتزعزع ولا يتأرجح تجاه أعداء الله البارزين، وأقلها مقاطعة البضائع الروسية واليهودية والأمريكية؛ لأن الأمريكان أولياء اليهود وأنصارهم ومؤيدوهم وداعموهم.

(2) أن ترتب قوائم نسميها قوائم محمد بن مسلمة ندرج عليها سدنة الكفر وأئمة الشرك من الطواغيت الذين ينازعون الله في ألوهيته وربوبيته في الأرض.

ندرج عليها أولاً:

كل يهودي يمد إسرائيل أو يتعاطف معها. وندرج عليها: أئمة الكفر وزبانية تعذيب البشرية من الروس والشيوعيين. وندرج عليها زعماء الأحزاب الملحدة والعلمانية التي تتبجح بإلحادها ومناوأتها للإسلام، وندرج عليها: كل من يعلن وقوفه بجانب اليهود من أي الأصقاع ومن سائر البقاع.

عقيدة الولاء والبراء

إن أنظمة العالم الإسلامي الآن أمام خيار صعب بعد إعلان حكومة المجاهدين وتوزيع الحقائب الوزارية إثر هذا الجهاد الإسلامي المشرف الذي ما شهد التاريخ الحديث له نظيرًا.

والآن وقد أعلنت الحكومة المجاهدة وتنتظر الاعتراف، فإن اعترف بها فهذا واجب الأخوة الإيمانية وحق الوشيجة الإسلامية.

وإن كانت الأخرى فليس بمستغرب على أنظمة تقوم قراراتها على الموازنة بين المصالح والمفاسد والمنافع والأضرار، وهذه كلها إنما تنطلق من نظرة مادية قريبة، وتنبثق من خلال موازين متأرجحة لا يعرف لها عيار، ولا يستقر لها قرار.

وسواء اعترفت الأنظمة بحكومة المجاهدين أم لم تعترف، فالمسلمون في كل مكان يبوءونها شغاف قلوبهم، وكما أن المجاهدين فرضوا احترام جهادهم على كل أنظمة الأرض، فإن دولتهم ستفرض احترامها على كراسي المعمورة بأسرها.

وأعداء الله لا يعرفون إلا مصالحهم، ويعبر عن سياستهم قول وزير الخارجية البريطانيه ردًّا على الأستاذ سعد جمعة -رحمه الله- رئيس وزراء الأردن عن نكبة 76 عندما قال له سعد: نحن أصحاب حق، فقال البريطاني: (السياسة ليس فيها حق ولا باطل، السياسة فيها مصالح ومنافع)..

وهذ القضية وغيرها من التصرفات التي تعبر عما في النفوس من المبادئ والإيمانيات لا بد أن نردها إلى هذه العقيدة التي هي ملزوم لا إله إلا الله؛ إذ إن -لا إله إلا الله- تستلزم من لفظها النفي والتبرؤ -البراءة- من كل طاغوت، والإثبات والولاء لله ولكتبه ولرسله.

ويستحيل على عبد أن تستقر في مسارب نفسه عقيدة التوحيد ويبقى ساكنًا جامدًا ميتًا لا حراك فيه.

لا بد أن تتحول هذه العقيدة إلى حرارة تجيش بها الصدور، وتفيض أفعالاً في عالم الظهور. وتنتج سلوكًا وأخلاقًا وأنظمة بمثل ماء السماء الطهور.

وهذه العقيدة...

تثمر الحب لله ولأوليائه، والبغض لأعداء الله، وتنتج الوقوف بجانب أولياء الله، والبعد والهجر لأعداء الله.

وأهل عقيدة التوحيد ومقتضاها من الولاء والبراء يتجمعون على وشيجة الإيمان، ويلتقون على صلات العقيدة والدين يتجاوزون فيها المواقع الجغرافية والحدود الزمانية واللون والعرق والعشيرة والجنس والصنعة والحرفة، ولا يلتقون كما تلتقي الحيوانات على الحظيرة والكلأ والجنس فحزبهم



العقيدة:

لا يجمعهم لون جواز سفر، ولا قطعة أرض محدودة بجبل أو نهر، ولا حزب دينه اللغة، ولا جماعة كل رابطتها أنهم سود أو بيض، أو رابطتهم أنهم فلاحون أو عمال أو كادحون، ولا صلاتهم أنهم رابطة محامين أو نجارين أو حدادين، ولا أنهم شام أو يمن، وهكذا مما تجتمع عليه البهائم والسوائم. فلا يمكن أن يدخل المؤمن الذي فهم عقيدة التوحيد تحت راية تجمع قومي منتن: كالقوميين العرب، وحزب البعث، والقوميين السوريين، حتى ولو كان المخططون لهم من المسلمين المغفلين، فكيف إذا كانوا نصارى أو غيرهم؟!

راية جاهلية وقيادة كافرة ومنهاج إلحادي علماني، فأنى لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن ينضوي تحت هذا اللواء؟

لغة البيض والسمر

إن لغة البيض والسمر (السيوف والرماح) يفهمها كل البيض والسمر، لغة يحبها الله ورسوله، وأنزل الله لها آيات بينات، وأبرزها رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحاديث جليات، وذلك لأن نصرة المبادئ وإعلاء القيم وإرساء قواعد العدل في الأرض تعتمد اعتمادًا كبيرًا على هذه اللغة.

والحق أننا عندما كنا نستعمل هذه اللغة كان يفهمنا الأنام قاطبة وكانت المهابة في قلوب أعدائنا منا، وكان النصر يأتينا مسيرة شهر بالرعب.

حال الأمة المسلمة بعد ترك هذه اللغة:

وبعد أن تركت أمة القرآن النطق بهذه اللغة التي يفهمها الأحياء جميعًا عادت القهقرى وانطفأ ذكرها؛ لأن الناس لا يسمعون مثل صليل السيوف وأزيز الرصاص وهدير الطائرات ودوي المتفجرات.

رد الفعل من أعداء الله:

كل من واكب مسيرة الأحداث في كابل عبر هذا العقد الزمني يدرك كيف غيرت هذه اللغة الأرض في داخل أفغانستان وروسيا وأرض الشيوعية خاصة وفي العالم عامة.

يقول سياف: لقد كان الحزب الشيوعي لا يستطيع تنفيذ الإعدام على أعواد المشانق وحبال الموت، بل كانوا يصفون المئات مقيدين ثم تأتي الجرافات وتحفر أخاديد الحتوف (الموت) ثم تفتح الرشاشات أفواهها على هؤلاء فيسقطون في خنادق المنية وتعود الجرافات مرة أخرى لتدفنهم،



ولقد دفن الكثير من المسلمين أحياء في داخل سجن "بول جرخي" الذي طوى في رماله ما يصل إلى (681 ألفًا)، كما شهد بهذا أحد أعضاء المخابرات (خاد) الكبار.

وأما الآن: فقد سمع الشيوعيون لغة الميدان، بأنصع بيان وأفصح لسان، بعد أن أذل الله سادتهم وانسحبوا وذيولهم بين السيقان.

صدقك وهو كذوب:

وقد لخصت الإذاعة البريطانية قصة الشعب الأفغاني فقالت: حاولت بريطانيا أن تفرض سلطتها على الأفغان فدفعت الثمن غاليًا، ولم تعتبر روسيا بما قدمت بريطانيا من تضحيات باهظة نتيجة غلطتها فسلكت نفس السبيل، وها هي جحافل المجاهدين تطارد فلول روسيا في أعماق أفغانستان.

عجب عجاب:

ولا ينقضي عجبك ولا تستطيع أن تمسك نفسك قهقهة وأنت ترى رجالات الحكومة الشيوعية في كابل يحملون العصي ويسوقون الناس قسرًا إلى المساجد في أوقات الصلاة.

مرسوم هام:

وهذا بعد أن أصدر رئيس الدولة الشيوعي -نجيب- مرسومًا يقضي بفصل أي موظف من وظيفته إذا تأخر ثلاثة أيام عن صلاة الجماعة.

وتلمح من خلال خطاباته عبارات الاستخذاء والاستكانة والاستعطاف لقلوب الشعب الأفغاني وهو يقول: لا تقولوا لي (نجيب) أنا (نجيب الله).

وقد قرأت رسالة من نجيب إلى الشيخ جلال الدين حقاني يستعطف فيها الشيخ جلال الدين قائلاً له:

أنا لست شيوعيًّا، وأنا مع سليمان لائق -وزير الحدود- اليتيمين المسلمين الوحيدين في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي، ونحن ندين بالإسلام سرًّا، ولا نستطيع مواجهة ضغط الشيوعية وثقلها علينا.

الرسائل:

والرسائل تترى من قادة الشيوعيين يعرضون خدماتهم للمجاهدين ويتوسلون لهم أن يؤمنوا طريقًا لهربهم إليهم، ورسم جادة قرارهم نحوهم.

فيا أمتي:

هلا سلكت سبيلهم واستعملت لغتهم التي توقظ الوسنان وتصخ أسماع الزمان؟ إن تقتفي آثارهم هديت، وها هو شعب الأرض المباركة في فلسطين قد فهم هذه اللغة فأيقظت قعقعة صوته وزمجرة ليوثه العالم أجمع، وإن شاء الله البقية على الطريق قادمون.

من الدعوة إلى الدولة

لقد مضت ثلاثة عشر عامًا كاملة منذ أطلقت الحركة الإسلامية أول رصاصة في وجه نظام داود سنة 5791 حتى الآن، ولقد جاءت روسيا بداود لتصفية الحركة الإسلامية، فكتب الله أن تهزم روسيا ويسحق عملاؤها، وكانت نقلة واسعة خطتها الحركة الإسلامية عبر مسيرة المعاناة، وخلال هذه المحن نضجت نفوس الذين عاشوا الأحداث، وخلال هذه الطريق المريرة الوعرة التي تجشم الإخوة مشقة اجتيازها بلغت الحركة عموديًّا -من حيث البناء الذاتي- شأوًا بعيدًا، وكذلك فإن الانتشار الأفقي بين الناس كان كبيرًا جدًّا.

النقلة الواسعة:

لقد كان البون شاسعًا بين تلك الأيام التي كان يرسم فيها المهندس حبيب الرحمن الشهيد (الأمين العام للحركة) الكلاشنكوف على الأوراق ثم يشرحه في أعماق الغرف الظلماء للذين يربيهم على حب الجهاد وبين هذه الأيام التي يلعب فيها الأطفال بالقاذف الصاروخي "آر. بي. جي".

القرار التاريخي:

لقد كان قرار المواجهة المسلحة لداود خارقًا لتفكير الإنسان العادي، خاصة وأن القرار قد صدر من ثلاثين شابًّا قد التفوا حول "برهان الدين رباني" و"حكمتيار" في بيشاور.

ولم يكن هذا القرار ليصدر لولا وجود حركة إسلامية انبثق من خلالها هؤلاء الفتية الذين آمنوا بربهم، وكانوا قد تلقوا قسطًا من التربية على أيدي أساتذتها ومشايخها ومربيها.

المورد العذب:

ولقد نضجت الحركة الإسلامية الأفغانية على محك الشدة حتى أصبحت مدرسة فذة قائمة بذاتها، وذلك لأن الدعوة الإسلامية في أفغانستان أصبحت الآن فريدة، وأعطت المصطلحات الحركية أعماقًا وأبعادًا.



(1) فلقد كان معنى "الصبر" قبل هذا الجهاد المبارك المشرف ينصرف إلى احتساب سياط الجلادين وهي تلهب ظهور الدعاة، وما كنا نفهم من معاني الصبر في القرآن الكريم سوى الصبر على ظلم الطغاة وزبانيتهم وجلاديهم.

أما الآن:

فالصبر قد أخذ بعدًا أكبر ورقعة أوسع فهو يعني: حبس النفس على الرباط في مواجهة أعداء الله، والصبر على الرباط في قمم الجبال وبين الغابات والأدغال.

(2) ومن القضايا البارزة في الدعوة الإسلامية الأفغانية أنها منذ أن رأت النور وتكونت نواتها حتى الآن وهي تدفع التضحيات، ولم تقطف من ثمار عرقها ولم تخرف (تحصد) من نتاج بذارها شيئًا.

ولذا فقد بقيت تستدر عطف الشعب كله، وتستحوذ على إعجابهم، وتنال احترامهم وإكبارهم، ولا زال اسم الدعوة أو الحركة، أكبر عامل من عوامل التعديل وأهم مؤهل للثقة.

والآن:

لقد استشهد أكثر من تسعين بالمائة من أبناء الحركة الإسلامية ولم يأخذوا من الدنيا شيئًا بعد.

(3) إن عمر الحركة الإسلامية الأفغانية صغير جدًّا، ولم يتغلغلوا في مناصب الدولة، ولم يرتقوا في سلم وظائفها، ولذا بقيت المبادئ واضحة ناصعة، وما اعتراها لبس ولا غموض، ولم يعش الدعاة حياة متناقضة بين مبادئ معلنة وبين مواقف عملية تمليها عليهم مصلحة الدعوة محافظة على مكاسب بين أيدي الدعاة قد تتعرض للزلزلة فيما لو وقف الدعاة وقفة المباينة والبراء من النظام القائم.

(4) إن الجهاد الإسلامي الذي خاضت غماره الدعوة الإسلامية أدى إلى إنضاج نفوس شبابها الباقين على قيد الحياة وتصفية أرواحهم وإلى صلابة عودهم.

(5) إن المعركة التي عركت أبناء الحركة الإسلامية اضطرتهم أن يعيشوا مع جميع طبقات الشعب، واضطرارهم للحياة مع جميع طبقات الناس من مفرط ومقصر ومخطئ ومتعثر وصادق وملتزم أعطاهم من التجربة والخبرة والحنكة من خلال المعاناة المريرة في رفع المستويات، ومحاولة إيجاد التناسق بين هذه المستويات المتباينة التي تعيش في قاعدة واحدة وتواجه عدوًّا واحدًا خلال عشر سنوات متواصلة في حياة واحدة تحت ظل سقف واحد تجمعهم مائدة واحدة، ويتحركون حركة واحدة كأنهم جسد واحد.

بينما الدعوات الإسلامية في كثير من أقطار العالم الإسلامي تعيش في مجتمعات خاصة نظيفة لا تلتقي مع سائر طبقات الناس الإيمانية إلا في المحافل والندوات والخطب والاجتماعات.

(6) والمشاكل التي كانت تواجه القادة عبر هذه السنين أعطتهم مراسًا للحكم؛ فكل واحد من هؤلاء مفروض عليه أن يجد حلاً للمشاكل الاجتماعية، ولقضايا الجفاف التي تعض المنطقة بنابها، ولمشاكل الأيتام والأرامل وغيرها.

فكل واحد منهم: إنما هو: حكومة قائمة بذاتها:

فهو كرئيس الوزراء، وفي نفس الوقت فهو وزير الصحة والتربية والتعليم والدفاع والشؤون الاجتماعية والزراعة والإعلام والإرشاد.

النقلة الواسعة:

لقد كان البون شاسعًا بين تلك الأيام التي كان يرسم فيها المهندس حبيب الرحمن الشهيد (الأمين العام للحركة) الكلاشنكوف على الأوراق ثم يشرحه في أعماق الغرف الظلماء للذين يربيهم على حب الجهاد وبين هذه الأيام التي يلعب فيها الأطفال بالقاذف الصاروخي "آر. بي. جي".

القرار التاريخي:

لقد كان قرار المواجهة المسلحة لداود خارقًا لتفكير الإنسان العادي، خاصة وأن القرار قد صدر من ثلاثين شابًّا قد التفوا حول "برهان الدين رباني" و"حكمتيار" في بيشاور.

ولم يكن هذا القرار ليصدر لولا وجود حركة إسلامية انبثق من خلالها هؤلاء الفتية الذين آمنوا بربهم، وكانوا قد تلقوا قسطًا من التربية على أيدي أساتذتها ومشايخها ومربيها.

المورد العذب:

ولقد نضجت الحركة الإسلامية الأفغانية على محك الشدة حتى أصبحت مدرسة فذة قائمة بذاتها، وذلك لأن الدعوة الإسلامية في أفغانستان أصبحت الآن فريدة، وأعطت المصطلحات الحركية أعماقًا وأبعادًا.

(1) فلقد كان معنى "الصبر" قبل هذا الجهاد المبارك المشرف ينصرف إلى احتساب سياط الجلادين وهي تلهب ظهور الدعاة، وما كنا نفهم من معاني الصبر في القرآن الكريم سوى الصبر على ظلم الطغاة وزبانيتهم وجلاديهم.

أما الآن:

فالصبر قد أخذ بعدًا أكبر ورقعة أوسع فهو يعني: حبس النفس على الرباط في مواجهة أعداء الله، والصبر على الرباط في قمم الجبال وبين الغابات والأدغال.

(2) ومن القضايا البارزة في الدعوة الإسلامية الأفغانية أنها منذ أن رأت النور وتكونت نواتها حتى الآن وهي تدفع التضحيات، ولم تقطف من ثمار عرقها ولم تخرف (تحصد) من نتاج بذارها شيئًا.

ولذا فقد بقيت تستدر عطف الشعب كله، وتستحوذ على إعجابهم، وتنال احترامهم وإكبارهم، ولا زال اسم الدعوة أو الحركة، أكبر عامل من عوامل التعديل وأهم مؤهل للثقة.

والآن:

لقد استشهد أكثر من تسعين بالمائة من أبناء الحركة الإسلامية ولم يأخذوا من الدنيا شيئًا بعد.

(3) إن عمر الحركة الإسلامية الأفغانية صغير جدًّا، ولم يتغلغلوا في مناصب الدولة، ولم يرتقوا في سلم وظائفها، ولذا بقيت المبادئ واضحة ناصعة، وما اعتراها لبس ولا غموض، ولم يعش الدعاة حياة متناقضة بين مبادئ معلنة وبين مواقف عملية تمليها عليهم مصلحة الدعوة محافظة على مكاسب بين أيدي الدعاة قد تتعرض للزلزلة فيما لو وقف الدعاة وقفة المباينة والبراء من النظام القائم.

(4) إن الجهاد الإسلامي الذي خاضت غماره الدعوة الإسلامية أدى إلى إنضاج نفوس شبابها الباقين على قيد الحياة وتصفية أرواحهم وإلى صلابة عودهم.

(5) إن المعركة التي عركت أبناء الحركة الإسلامية اضطرتهم أن يعيشوا مع جميع طبقات الشعب، واضطرارهم للحياة مع جميع طبقات الناس من مفرط ومقصر ومخطئ ومتعثر وصادق وملتزم أعطاهم من التجربة والخبرة والحنكة من خلال المعاناة المريرة في رفع المستويات، ومحاولة إيجاد التناسق بين هذه المستويات المتباينة التي تعيش في قاعدة واحدة وتواجه عدوًّا واحدًا خلال عشر سنوات متواصلة في حياة واحدة تحت ظل سقف واحد تجمعهم مائدة واحدة، ويتحركون حركة واحدة كأنهم جسد واحد.

بينما الدعوات الإسلامية في كثير من أقطار العالم الإسلامي تعيش في مجتمعات خاصة نظيفة لا تلتقي مع سائر طبقات الناس الإيمانية إلا في المحافل والندوات والخطب والاجتماعات.

(6) والمشاكل التي كانت تواجه القادة عبر هذه السنين أعطتهم مراسًا للحكم؛ فكل واحد من هؤلاء مفروض عليه أن يجد حلاًّ للمشاكل الاجتماعية، ولقضايا الجفاف التي تعض المنطقة بنابها، ولمشاكل الأيتام والأرامل وغيرها.

فكل واحد منهم: إنما هو: حكومة قائمة بذاتها:

فهو كرئيس الـوزراء، وفي نفس الوقت فهو وزير الصحة والتربية والتعليم والدفاع والشؤون الاجتماعية والزراعة والإعلام والإرشاد.



ناموس وقانون إنشاء المجتمع المسلم:

إن القانون الإلهي لإنشاء دين الله في الأرض وإقامة المجتمع الإسلامي يكون في خطوات:

1- أولها قيام رجل يدعو إلى توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، ثم يتجمع الناس حوله.

2- تقوم الجاهلية في وجه هذا المصلح تدافع عن مصالحها بكل ما أوتيت من قوة، وفي الطريق يسقط من يسقط، ويثبت الله من يثبت يتحمل الإيذاء والاضطهاد والتشريد والسجن.

3- تقوم الدعوة الإسلامية بدور الصاعق الذي يفجر طاقات الشعب، ويقوم جهاد طويل تكون الدعوة فيه موجهًا وقائدًا ومشعلاً للفتيل، ويقدم الشعب المسلم الوقود لهذه المعركة الطاحنة الطويلة.

4- وبعد الجهاد الطويل تفقد الحركة الإسلامية معظم أبنائها، ويبقى قسم منها يضن الله بهم عن الموت، وهؤلاء هم الذين يضع الله بين أيديهم مقاليد الحكم بعد أن أصبحوا أمناء على الدماء والأعراض والأموال.

هكذا قام هذا الدين أول مرة، وهكذا يقوم في كل مرة.

البغل بمائة شيوعي

يشهد الحزب الشيوعي الأفغاني حالة من الهزال والاحتضار، يعد فيها أيامه ليلفظ أنفاسه الأخيرة.

ولم أشهد في حياتي حالة من الذل والهوان والحقارة يحياها حزب حاكم مثلما يعيش الحزب الشيوعي الأفغاني في هذه الأيام بشقيه: (برشم وخلق).

وقد كتب الله لي ليلة أمس أن ألتقي بمجموعة من القادة حول كابل وقد ذكرتهم بالله أكثر من مرة وقلت لهم: نحن ننقل إلى العالم الإسلامي وأنتم مسؤولون عن كل كلمة بين يدي الله غدًا، فافتتح الحديث أختر محمد باللغة الفارسية مع أنه يستطيع أن يتعتع بالعربية ويتكلم بها بصعوبة بالغة.

قال أختر محمد: كان الروس قبل عدة أعوام يقولون للشيوعيين الأفغان: أفغانستان إما أن نحكمها أو يحكمها الباسماش (الأشرار) الذين يعيشون في الجبال -يعنون المجاهدين. أما أنتم فلن تستطيعوا أن تثبتوا أقدامكم فيها.

وقد جاء الزمن بمصداق ما كان الروس يرددونه. فمنذ أن أعلن "غوربتشوف" عن موعد انسحاب الروس حتى الآن والروس الذين في أفغانستان لا تكاد الدنيا تسعهم فرحًا وغبطة وهم يعدون الأيام التي يقطعونها حتى يأتي موعد خروجهم وهم يتصلون بالمجاهدين قائلين لهم:

نحن في هذه الأيام ضيوف عليكم فدعونا ودونكم بني جلدتكم.

بل أخذ الروس يتسلون بمرأى الشيوعيين الأفغان يقادون إلى الموت على أيدي المجاهدين ويرون في هذا تنفيسًا لأحقاد حبيسة وآلام عميقة وجراحات غائرة خلفتها في مسارب نفوسهم هذه المجازر التي شهدوها.

ولقد حدثني أحمد شاه مسعود قال: لقد عرض على الروس هدنة مؤقتة لمدة ستة أشهر، وجاء الدبلوماسي الروسي وجلست معه عدة ليال، وفي الليلة الثالثة وإذا بالكلام ينساب على لسانه ينفس فيه عن آلام حبيسة في صدره فقال:

(أنت لا تعلم الحالة النفسية التي نعيشها، لقد أدخلنا "بريجنيف" الأحمق هذه الأزمة الخانقة والدوامة العنيفة التي لانعلم لها حلاً، إننا نشعر كأننا مقيدون بالأغلال ونبحث عن طريقة فك هذه القيود)، ثم قال مسعود: (وهممت أن أسجل هذا الكلام في ليلة لاحقة، ولكني رأيت أن علو النفس تأبى علي استعمال هذه الأساليب الخسيسة وترفض هذه الوسائل الدنيئة).

يحدث أختر محمد ويؤمن القادة على صحة كلامه فيقول: لقد وصلت التسعيرة الأخيرة للحزب الشيوعي الأفغاني عند الروس في الأيام الأخيرة كالتالي:

(1) القادة الكبار الذين يشكلون جهاز المخابرات (خاد) ثلاثة آلاف روبية أفغانية (خمسة عشر دولارًا).

(2) **القادة الصغار:** ألفا روبية أفغانية (عشرة دولارات).

(3) **الجنود الشيوعيون:** خمسمائة إلى ألف روبية (دولاران ونصف إلى خمسة دولارات).

فإذا كان ثمن البغل في أفغانستان يساوي خمسين ألف روبية أفغانية، فهذا يعني أن (البغل بمائة شيوعي).

مسيرة عقد في جفن الردى

لقد أتيت الجهاد الأفغاني ولم يخط الشيب في عارضي، ولهول مارأيت فقد اشتعل الرأس شيبًا، لقد عايشت الجهاد الأفغاني في هذه الفترة يومًا يومًا بأعصابي وقلبي ومشاعري وأحاسيسي.

وقد درنا مع الدهر فرأيت من رفع ومن وضع، وكنا نتقلب بين أعطاف نعيم النصر أحيانًا، ونتجرع غصص الهزيمة أخرى، صاحبنا فيها المجاهدين من القادة إلى الجند، حتى أصبحت أرواحنا واحدة مفرقة في جسوم كثيرة، والشعب الأفغاني بطبيعته قريب إلى القلب، تهواه الأفئدة؛ لأنه يحمل في طيات جبلته سجايا قلّ ما توفرت في شعب آخر، ولم تفسد فطرته سيول المدنية الغربية التي تجرف كل ما يواجهها من قيم وتغسل ما تلاقيه من مبادئ ومُثل.

عرفنا في الشعب نخوته وإباءه، وعزته وصفاءه، وكرمه وحياءه، وغيرته ووفاءه.

وكنت طيلة المسيرة المريرة أرى بعين البصيرة وكأن يد الله تدير المعركة، وبقيت أحس من أعماقي أن قدرة الله وراء هذا الشعب المسحوق ظلمًا.

القوارع الربانية على روسيا:

أقبلت بخيلها وخيلائها، وصلفها وكبريائها، وجبروتها وانتفاخ عليائها، ثم رأيتها باندحارها وصغارها وذلها وهوانها، بعد أن أعادت ضربات المجاهدين فوق هامها الوعي إلى رأسها، ورأيت العد التنازلي للعسكرية السوفياتية بعد أن مزقت شر ممزق في أرض البطولة والفداء.

الصنم الذي هوى:

ورأيت ورقة الشيوعية تحترق في أفغانستان نهائيًا بعد أن مرغت في الأوحال، وديست بأقدام الأبطال.

ورأيت الدمار الذي حلّ بالحزب الشيوعي والتمزق الذي أصابه، والبأس الشديد الذي ألقاه الله بين أفراده يصفي بعضهم بعضًا، ورأيتهم يستجدون رحمة المجاهدين، ويستعطفون قادتهم.

العزة والشموخ:

ورأيت كيف لفتت بطولة الأفغان وعزتهم أنظار العالم إليهم حتى أصبحت قضيتهم أكبر حدث يشغل العالم ومؤسساته.

المكائد والمصائد:

ولمست بيدي مؤامرات العالم على هذا الدين وهم يرتعدون رعبًا؛ إذ يرون دين الله قادمًا بخطى حثيثة نحو الحياة ليأخذ بيده المقاد، ولتسلم له الناس القياد، رأيت الكيد تجاه الاسلام، وأبصرت أعداء الله يعضون أصابع الندم إذ لم يخنقوا هذا المولود المبارك قبل أن يولد، وكيف تركوا هذه الشجرة تضرب بجذورها وتستوي قائمة على أصولها دون أن يجتثوها.

روسيا والعد التنازلي:

وأخيرًا، وبعد أن يئست روسيا أن تحسم القضية عسكريًا فقد طلبت بنفسها أن تقابل المجاهدين وجهًا لوجه في الطائف، وعلى قدم المساواة مع المجاهدين، ومبدأ المفاوضات لا غبار عليه من

جهة الأصل لا شرعًا ولا مصلحة، ولكن بشروطه الشرعية التي نص عليها الفقهاء، والتي لا يتسع لها هذا المقال.

والآن هذه أفغانستان:

أبطالها لكثرة ما عانوا كأنهم ظلال، بناؤها لما أصابه من الدمار كأنه أطلال.

كم من الأرجل سقطت بسبب الثلوج؛ لأنها لا تجد الحذاء؟ وكم من ثاكل فقدت وحيدها لا تجد رغيفًا يسكت جوعتها؟ كم من بيت تهدم فوق أهله فلم يبق منهم سوى طفلة صغيرة لا تعرف لها أهلاً؟ كم من شاب أو قائد طالما زلزل الأرض تحت أقدام روسيا ومع هذا فعندما جرح لم يجد أجرة توصله إلى مكان علاجه؟

كلمة من الأعماق إلى كل مسلم:

إنه من العار على أمة أن يكون بعض بنيها يخطون تاريخها بالدماء، ومع هذا فلا تقدم لهم الأمة ثمن الضمادات التي توقف نزيفهم، ومن الإثم على أهل ملة أن يكون إخوان العقيدة فيهم درعًا لدينهم ودثارًا لملتهم وشعارًا لعزتهم، ومع هذا فإن أبناء ملتهم لا يقدمون لهم ثمن الطعام، ولا يتكفلون لهم بالكساء ولا بلقمة الغذاء.

فماذا على المسلمين؟

ماذا على المسلمين لو دفع كل واحد منهم لإعادة دين الله في الأرض مقدار مصروف ابنته الصغيرة؟ وماذا على المسلم لو اعتبر الجهاد الأفغاني كمولود جديد حل على أسرته؟ ماذا على المسلمين لو أخروا تغيير نوع السيارة؟!! أو تجديد غرفة النوم؟ أو طاقم صالة الضيوف؟ وهل يصوم المسلمون عن المرطبات ويدفعون ثمنها لبناء حصون المجد وقلاع المكرمات؟

ونحن نهيب بإخواننا المسلمين أن لا يتركونا على أبواب كابل وينكصوا، وأن لا يخذلونا ويدعونا فرادى نواجه المعارك المصيرية واللقاءات الحاسمة.

إنها أيام حاسمة في دورات الزمن وصفحات مشرقة في جبين التاريخ، فاصغوا -أيها المسلمون- إلى النداء الرباني الجليل: (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون).



والله غالب على أمره

فعلى أبواب كابل تصطف الجياد وقد أحكم الفرسان لجمها والمقاد، والطيران لا يهدأ في ليل ولا في نهار، وقلوب القوم مذعورة من الأبرار.

إنها لحظات حرجة يلتقط فيها التاريخ أنفاسه ويمسك بقلمه منتظرًا ماذا يسطر في هذه المرحلة الدقيقة الحرجة من تاريخ الأمة الإسلامية، بل تاريخ العالم أجمع.

ونحن الآن ننعم بأعظم خارقة حصلت خلال القرون الثلاثة الأخيرة تقريبًا، وهي انتصار شعب مسلم أمي فقير على أشرس وأفتك طاغوت في الأرض.

ولقد عانى غوربتشوف وجهازه الحاكم الآن في إيجاد تبرير معقول للانسحاب ومقبول لدى الأمهات اللواتي ثكلن أبناءهن في هلمند وهرات، والنساء اللواتي تأيمن بقتل بعولتهن في بلخ وطالقان، والأفلام الوثائقية التي وصلت تصور لك مدى الحرج الشديد الذي يواجهه غورباتشوف بالانسحاب، ولدينا فيلم يصور النساء اللواتي يندبن حزنًا ويذرفن الدموع حسرة على أرحامهن الذين غيبهم الثرى في ذرى الهندوكوش.

وأما الحكم الشيوعي في كابل فقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت.

أما المجاهدون: فهم ينتظرون ساعة الانقضاض ليجهزوا على الحكم الشيوعي الهش، والحق أن هذا الشعب قد حمل من أصيل السمات ما جعله فريدًا بين الأمم، وأكثر ما يهز هذا الشعب إعجابًا

الشجاعة والوفاء.

عقبات الطريق:

ويكاد المراقبون يجمعون كما قال كارلوتشي -وزير الدفاع الأمريكي- على ثلاث قضايا:

1- الانسحاب الروسي.

2- سقوط الحكم الشيوعي.

3- وصول المجاهدين إلى الحكم.

ولكن ماذا بعد؟ فهناك العقبات الجمة التي تنتظر دولة المجاهدين القادمة:

منها العقبات الخارجية، وتواكبها المتاعب والمصاعب الداخلية، ولن نستطيع في هذه العجالة أن نتعرض للمشاكل الداخلية، وسنكتفي بذكر العقبات الخارجية: وعلى رأس هذه العقابيل:

- الرعب العالمي من حكومة المجاهدين الأصوليين المتطرفين كما يحلو لأجهزة الإعلام أن تطلق عليهم.

- واليهود أكثر أعداء الله هلعًا من نتائج هذا الجهاد.

إن دولة المجاهدين القادمة -والله أعلم- ستواجه الدنيا بأسرها بخططها وأحابيلها ومكائدها وحقدها، ولن يسمح هؤلاء الأعداء للدولة الفتية أن تذوق طعم الراحة، أو تنعم بلحظة استقرار ما استطاعوا، فإذا كانت أمريكا ودول الكفر قد أطبقوا على تصفية الرئيس الراحل ضياء الحق -رحمه الله؛ لأنه اجتهد في محاولة إخراج القنبلة الذرية (التي يسميها الغرب القنبلة الإسلامية) ولوقفته الصامدة الشامخة بجانب الجهاد الأفغاني، ولأنه أعلن جادًّا قبل مقتله بأشهر أنه سيطبق الشريعة الإسلامية.

أترى هذه الدول ستقف مكتوفة الأيدي، وفيها الآلاف من ضياء الحق، ويجمع شعبها على أن الإسلام هو دين الحياة عقيدة وعبادة ونظام حياة.

وختامًا نقول:

إن اطمئناننا إلى رحمة الله بعباده وحبه لنصرة شريعته، وقوانينه التي لا تتخلف تجعل سرائرنا مرتاحة وصدورنا منشرحة لقدر الله الجاري وناموسه الماضي في خلقه، فهو يقول لنا: (وما كيد الكافرين إلا في ضلال).

جاء الحق وزهق الباطل

هزم أعداء الله، ونكست راياتهم، ومزقت كتائبهم، وتفرق شملهم، وهتكت أستار الهيبة التي تمثل نسيج العنكبوت حول الأصنام الكبرى والطواغيت العظمى، ودحرت روسيا من أعماق أفغانستان بعد معركة استمرت عشر حجج.

البشر والقدر:

لقد قدر لي أن أتصفح جولات "كوردوفيز" المكوكية بين واشنطن وموسكو وإسلام آباد وجنيف، ابتداء من يونية 2891 حتى كانت آخر الجولات التي وصلت اثنتي عشرة جولة في الرابع عشر من أبريل 8891، فوجدت أن المحادثات كلها والاتفاقيات الأربعة التي كانت موضوع معاهدة جنيف قد أغفلت ذكر المجاهدين تمامًا، وكأنهم غرباء عن القضية، بل لقد أشارت إحدى المعاهدات إليهم بوصف المرتزقة المتسللين عبر حدود باكستان إلى أفغانستان.

وما رأيت المجاهدين على الموائد الدولية إلا كالأيتام على مآدب اللئام، كل هذا قبل عام، وانقلبت بعد جنيف كل الموازين وتصببت الانتصارات بعد أن أحكمت القوى الدولية الخناق وانبرى "جونيجو" (رئيس وزراء باكستان السابق) يتحمل كبر تنفيذ المؤامرة الدولية بعد أن وقع على شرعية نظام كابل، وانطلق الملأ من اليسار الباكستاني يقيم التفجيرات في الأماكن المأهولة بالسكان لتزهق أرواح الكثيرين من المدنيين حتى يعطوا الحكومة مبررًا قويًّا وورقة ضاغطة للتعجيل بطرد المجاهدين والمهاجرين وإغلاق الحدود دون عبورهم، حتى استطاعوا أخيرًا أن يعبثوا بمخزن كبير للذخيرة في إسلام آباد ويفجروا الصواريخ التي بقيت تنطلق على مدينتي إسلام آباد وراولبندي تروع السكان وتقتل المارة وتدمر البنيان.

محاولات لإنقاذ الموقف العسكري الروسي:

وقد حاول قادة "الكرملين" أن ينقذوا الموقف العسكري بدفع الهند للهجوم على باكستان عبر أعوام الجهاد المبارك، فكانت الكرامات الربانية تنقذ الموقف بعد اشتداده وتأزمه.

- وقد كان أولى هذه الكرامات يوم أن قتلت "أنديرا غاندي" على يد أحد حراسها السيخ، وانقلبت المعركة داخلية بين السيخ والهندوس.

- وجاء "راجيف غاندي" وأراد مواصلة الطريق، وقدمت له روسيا الترسانة الحديثة من الأسلحة من الطائرات والدبابات التي وصلت الآلاف، وبدأت القوات الهندية تحتشد على الحدود الباكستانية منتظرة إشارة البدء، فيسوق الله صحفيًّا غربيًّا يقابل العالم الذي يشرف على المفاعل النووي الباكستاني فيسأله عن المفاعل فأجابه: لقد صنعنا مئات القنابل الذرية.

وفي نفس الوقت: أصدر المجاهدون الأفغان بيانًا يهددون الهند ويحذرونها بأنهم لن يقفوا مكتوفي الأيدي إذا حاولت الهند أن تعبث.

وفجأة وإذا بالزئير ينقلب إلى نهيق حمير، وإذا بقعقعة السلاح تنقلب إلى عواء ونباح.

وانتقلت المحاولات إلى إيران ليشددوا الخناق على المجاهدين، وكادت المحاولة أن تنجح لولا الله ثم انزلاق روسيا ببيع صواريخ بعيدة المدى إلى العراق ضربت بها طهران وقم.

- وحاول العالم أن ينقذ مؤامرة جنيف من خلال باكستان فأبى عليهم "ضياء الحق" وقال مستشاره لي بأن ضياء قبل قتله بأشهر قال: (إن أمريكا قد وقعت أوراق قتلي)، ولعل هذا هو السبب الذي من أجله كان ضياء يصطحب السفير الأمريكي معه في ترحاله ليكون رادعًا لأمريكا عن تنفيذ مؤامرتها.

العد التنازلي:

كان أول التنازلات إيقاف إطلاق النار من جانب الروس في الخامس عشر من يناير سنة 7891، فقوبل بتصاعد هجمات المجاهدين على الكفار، ثم كان طلب المصالحة الوطنية التي قوبلت بسخرية واستخفاف من قبل ليوث الغاب الخفاف. ثم كانت جنيف بمعاهداتها تجمع بإجماع العالم أن نظام نجيب باق، وأن المهاجرين سيرجعون، مغفلة تمامًا المجاهدين، ولكن الانتصارات التي تنزلت من السماء في هذا العام أضعاف ما حققه المجاهدون في سنوات عديدة.

وهنا أرسلت روسيا رسولها يحمل في حقيبته طرحًا على المجاهدين كشرط لانسحاب روسيا أن يرجع قادة الجهاد ليكونوا وزراء في حكومة نجيب، فرفض الطلب من قبل القادة، ثم تنازل الروس إلى طلب حكومة مشتركة يشترك فيها المجاهدون والشيوعيون فكان الرفض بالحسام لا بالكلام. ثم نزل الدب درجة أخرى فطلب حكومة محايدة، فأجاب المجاهدون لن يحكم أفغانستان الأمريكان السمر (يعنون الأفغان الذين تربوا في الصالات الأمريكية، ورتبت أوراقهم وراء الكواليس من خلال المحافل الماسونية أو الدولية).

المؤامرة العالمية:

ولقد كنت قد أيقنت من خلال الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة العداوة الأبدية بين هذا الدين وأعدائه، وقد خرجت من خلال التاريخ الإسلامي بمصداقية واقعية تطبيقية للقوانين الربانية والنواميس الإلهية في العداء الذي يناصبه أهل الكتاب والمشركون لهذا الدين وأهله؛ إذ إنه لا لقاء في منتصف الطريق، ولا هدنة ما دام في جسد الكفر عرق ينبض أو نفس يجري.

وخرجت بيقين جازم لا يتزعزع بخطورة تولي قياد الأمم من أناس لم يتمرسوا بهذا الدين من خلال معاناة طويلة، وبذل وجهد ناصب وتضحيات باهظة، ورأيت كيف تحمى الأمم وتنقذ الشعوب بفرد فذ من أبنائها، وكيف يمكن للأمة كلها أن تباع بجلسة على مائدة خضراء أو بكأس راح في ليلة حمراء، أو بابتسامة من ثغر فاتنة شقراء.

وأيقنت أنه لا نجاة للأمم إلا بأن تسلم قيادها وتسلس مقادها لشباب مسلم قد شبوا على نار الأسى، وأن مستوى المسلم ونضجه يسير جنبًا إلى جنب مع التكاليف التي يبذلها، وأن هذا القرآن لا يفتح أسراره لفقيه قاعد، وهذا الدين لا يسبر أغواره ولا يدرك معانيه حفظة المتون والحواشي ممن لا يتحركون به ولا يعيشون لنصرته.

وأدركت سر رعب الطواغيت من الحركات الإسلامية الخالصة، وهلعهم من أبنائها الصادقين، وذلك لأنهم يتمردون على الدنيا التي يملكها الطغاة، ويدوسون المتاع الرخيص الذي بين أيدي الجبابرة،

والذي من خلاله يجمعون القطيع ويسوقونه إلى مذابح شهواتهم قرابين رخيصة، إنها عناصر فريدة لا تباع في سوق النخاسة، ولا تذوب في حوامض الجاهلية، فتحافظ على أصالتها ونقائها ومثلها ومبادئها في أي جو عاشت، ومع أي قوى التقت.

لقد وجدت أن العلماء المخلصين وأبناء الدعوة الصادقين هم صمام الأمان لدماء الناس وأعراضهم ومبادئهم وأموالهم.

وأيقنت أكثر من أي زمن مضى سر اتفاق الفقهاء البارزين على عدم انعقاد البيعة للفاسق، واشتراط العلم والتقوى لمن يلي أمور المسلمين أو يتصرف في شؤونهم.

ولقد رأيت الأيدي التي تريد أن تعبث بقداسة هذا الجهاد وتود أن تختلس ثماره أو تغتصب بركاته جهارًا نهارًا رأيت الدنيا بأسرها تقف بخيلها ورجلها وهيلها وهيلمانها وثقلها تريد أن تحول بين الصادقين وبين الوصول إلى سدة الحكم.

فوجدوا حفنة من العلماء الصادقين، ومن أبناء الدعوة المخلصين يقفون كالشم الرواسي ينافحون عن عزة هذا الجهاد وشرف هذا الشعب الأبي الكريم، ولا يتزحزحون قيد أنملة عن هدفهم الكبير، وهو إقامة دين الله في الأرض.

لقد وقفت هذه الحفنة الصادقة التي يمثل رأس حربتها التي أغمدت في فؤاد الكفر مجموعة لا تصل عدد أصابع اليدين، وعلى رأسهم سياف وحكمتيار ويونس خالص وحقاني ومحمد ياسر وأرسلان وغيرهم، أقول: وقفت هذه الحفنة أمام الدنيا بأسرها وأرغمتها أن تخضع لرأيها بعد أن امتدت أيادي الأشرار إلى أعماق خزينة الأسرار.

من يعلق الجرس؟

لقد قلب هذا الجهاد -بفضل الله ومشيئته- الموازين الدولية، وعطل المعادلات السياسية العالمية، ولقد كانت النعمة الكبرى التي منّ الله بها على المجاهدين في إحباط المؤامرات الدولية السياسية لا تقل عن الآلاء العظمى التي أنعم الله بها عليهم في الميادين العسكرية من انتصارات ساحقة وكرامات باهرة.

ولقد نقلت كثيرًا من الكرامات الربانية التي تنزلت على المجاهدين ولا زالت إبان احتدام القتال عبر السنين العشر الخوالي، مما كان له الأثر البالغ في استئناس المجاهدين أثناء مسيرتهم واطمئنانهم على استقامة جادتهم.

أما الكرامة في الميدان السياسي فهي تخفى على الكثيرين لدقتها، ولأنها تتعلق بأطراف

كثيرة **غير بارزة، وتشل أصابع خفية تدير الأحداث من وراء الكواليس:**

الكرامات السياسية التي تلت معاهدة جنيف:

كانت معاهدة جنيف تتلخص في خنق المجاهدين بإبقاء الحكومة الشيوعية في كابل مع الاعتراف الدولي بشرعيتها، ووقف إطلاق النار، والمصالحة الوطنية.

وسميت معاهدة جنيف في الإعلام العالمي (بالانفراج الدولي)؛ لأنها عالجت كثيرًا من القضايا، وربطت إنهاء حرب الخليج بين إيران والعراق، وحل قضية فلسطين، وإيقاف الجهاد في أفغانستان بخيط واحد، ولذا تهالكت كثير من الدول الصغرى على قبولها، وتداعت من كل حدب وصوب للضغط على ضياء الحق لقبول المؤامرة.

وعقد المؤتمر الإسلامي في عمان وأوفدت دول العالم الإسلامي أحد الحكام ليتولى عملية إقناع ضياء الحق بقبول المعاهدة.

وجاء الحاكم المبعوث وقضى ثلاث ساعات وهو يحاول إقناع الجنرال الراحل الذي رسم بموقفه معالم بارزة للرجولة الإسلامية، ولم يكن لدى الحاكم صورة واضحة عن الجهاد في أفغانستان، فقد كان يظنها طلقات تتبادل عبر الحدود الباكستانية الأفغانية كتلك التي تنطلق عبر الحدود اللبنانية الفلسطينية.

وعندها بيّن ضياء الحق للحاكم أن روسيا مهزومة في أعماق أفغانستان، وأنها منسحبة لا محالة؛ إذ إنها لا تملك الاستمرار بعد أن أثخنت جراحًا.

ففغر الحاكم فمه مشدوهًا مبهورًا وهو يسمع هذه الحقائق، ولم يملك إزاءها ردًّا وقفل راجعًا إلى المؤتمر ليحدث بما سمع بعد أن اتصل بالمؤتمرين وأخبرهم بألا يتعجلوا في القرارات؛ إذ إن لديه حقائق ومعلومات.

ضياء مع قادة الجهاد:

ورغم هذا كله فقد استمرت الضغوط على ضياء لقبول توقيع المعاهدة من الأصدقاء والأعداء. وتلفت حوله فلم يجد صديقًا ولا عدوًّا، وعندها جمع قادة الجهاد وعرض عليهم حاله: أنه قد عيل صبره، واستنفد كل السهام التي في كنانته في رد هذه المعاهدة، وأنه لا يستطيع إلا أن يوقعها، وطلب من إخوانه قادة الجهاد أن يعذروه في التوقيع.

توقيع المعاهدة

ووقع ضياء المعاهدة بعد أن أضاف استدراكين على المعاهدة وهما:

1- لا أضمن وقف إطلاق النار.

2- لا أكفل الضغط على المهاجرين ليعودوا إلى أفغانستان.

موقف "جونيجو" و"نوراني":

ولكن رئيس وزراء ضياء ووزير خارجيته كانا قد وعدا من الدوائر الدولية لكل منهما بميدالية السلام الدولية، فكان كل منهما مستميتًا في تنفيذ معاهدة جنيف حتى يأخذ قطعة ذهبية مكتوبًا عليها جائزة نوبل -اليهودية- للسلام، فكان جونيجو متفانيًا حتى يبيع أفغانستان وشعبها وجهادها مقابل هذه القطعة الذهبية.

وكم جرت بين نوراني وبين قادة الجهاد من مشادات عنيفة ومساجلات حادة ومن مجادلات ساخنة، وأما جونيجو فقد هدد ضياء الحق بأنه سيقدم تقريرا للعالم -أمريكا وروسيا والأمم المتحدة- أن الرئيس غير ملتزم بتنفيذ المعاهدة، وغير جاد في احترام بنودها، وأخذ يرسل رجالاته إلى المهاجرين ليرغمهم على الرجوع إلى أفغانستان بالضرب والتهديد.

الانسحاب الروسي:

وبدأت روسيا تنسحب من المناطق الحدودية منتظرة رجوع المهاجرين مكانها، وكلما انسحبت من منطقة -بكتيا وقندهار وبكتيكا واللوجر وكونر- انقضت عليها ليوث الله واحتلتها.

وبدلاً من أن يرجع المهاجرون إلى بلادهم زادت هجرتهم من الداخل نحو باكستان بسبب اضطرام المعارك واشتدادها.

ووجدت روسيا أن حكومة نجيب ضعيفة لا تستطيع أن تحافظ على أية منطقة تنسحب منها.

موقف ضياء الحق:

وعندما أصر جونيجو على تنفيذ المعاهدة فكر ضياء مليًّا، ثم أقدم على إقالة حكومة رئيس وزرائه وقد كان آنذاك في الصين، فاتصل به وقال له: عد إلى بيتك فقد قررت طردك من الحكومة. وحل مجلس الشورى،

وأمسك ضياء بقبضته العسكرية البلد من جديد معلنًا:

1- وقوفه بجانب المجاهدين والمهاجرين الأفغان حتى يعودوا إلى بلادهم معززين مكرمين.

2- أنه سيطبق الشريعة الإسلامية وإن كلفه هذا نفسه وأهله وعرشه.

قال أسلم ختك (وزير الداخلية لضياء الحق): ستقتلك أمريكا والغرب، فأجاب ضياء الحق: (إن الذي يتخذ قرار الموت والحياة في السماء وليس في الأرض).

التراجع الروسي:

وعندما رأت روسيا أن الحكومة الشيوعية هشة أمام ضربات المجاهدين، خشيت روسيا أن تسقط كابل قبل أن يتم انسحابها فرجعت وأرسلت قواتها مرة أخرى إلى قندهار وغيرها، وصارت توجه طائراتها للإغارة على الحدود الباكستانية وضرب القرى الباكستانية الحدودية، ورفعت باكستان عقيرتها بالشكوى على روسيا التي تعتدي على الآمنين.

انتصارات المجاهدين:

ولقد حقق المجاهدون من الانتصارات خلال سنة 8891 بعد جنيف أضعاف ما أحرزوه عبر سنوات ماضية.

العروض على المجاهدين:

وكانت آخر محاولة الحكومة ذات القاعدة العريضة desaB daorB يكون مجلس شورى من المجاهدين 05% ومن المهاجرين في باكستان وإيران 03% ومن المهاجرين في العالم 01% ومن المسلمين في كابل 01%.

في مدينة الحجاج:

والتقى مجلس الشورى في مدينة الحجاج وجاء وزراء ظاهر شاه السابقون من بين أعضائه مع بعض الأفغان المستغربين واجتمعوا مع المجاهدين الذين أنضجتهم المحنة وصاغتهم الأحداث الضخمة وصقلتهم نيران المعارك التي اكتووا بضرامها عبر السنين.

ووقف عبد الستار سيرت -أحد وزراء ظاهر شاه- ليشرح للحاضرين عن خطة سياسية معقولة للحل، وكأنه يريد أن يجرهم إلى قبول الأمر الواقع الذي لا محيد عنه وهو قبول ظاهر شاه.

وإذا بالمسؤول عن إدارة المؤتمر يصيح (مرده باد) ظاهر شاه (الموت لظاهر شاه)، وإذا بمجلس

الشورى كله يدوي بالموت لظاهر شاه وبهت عبد الستار.

وغادر المستغربون والمنتفعون وتجار الدماء قاعة مدينة الحجاج غير مأسوف عليهم.

ووصل المجاهدون إلى حل: (محمد نبي رئيس للدولة وأحمد شاه رئيس للوزراء) وزلزلت الأرض زلزالها، وأخرجت صدور الحاقدين على هذا الدين أثقالها ومكنونات قلوبها، **فقال أحد كبار الناصحين:** (إن أمريكا والصين وإيران... لا ترضى عن هذه الحكومة).

قال سياف: نحن شكلنا هذه الحكومة لأفغانستان وليس لأمريكا.

وقال حكمتيار: لن يفرض أحد علينا حكومة وسنحارب الحكومة التي ترتضيها أمريكا كما حاربنا روسيا. وألقى العالم بثقله وكلكله وفرط العقد ومزق الكلمة.

وتقدم جلال الدين حقاني: مع سبعين من مجلس الشورى يطلبون من القادة السبعة الحل أو يتركوا إليهم تقديم حل، ووافق السبعة وانتحى جلال الدين مع أربعة عشر من مجلس الشورى في بيت منزو بعيد عن الأنظار وخرج بالحل الذي أفرز (مجددي) رئيسًا للدولة وسيافًا رئيسًا للوزراء.

وعلقت أجهزة الإعلام: لقد كان أحمد شاه أصوليًّا فجاء سياف أشد أصولية منه.

التحدي الكبير:

وقامت الدولة وهي تنتظر اعتراف الأصدقاء وتضع دول العالم الإسلامي أمام امتحان عسير وإزاء تحد كبير، وكأنها تسائلهم: أين أخوة الإسلام؟ بل أين الشعارات واللافتات؟ بل أين ذهبت الوعود والتصريحات؟

إن وجوم العالم الإسلامي إزاء دولة المجاهدين التي ولدت في أجفان الردى وفي أغماد السيوف، وصمت القبور الذي يلف دول العالم الغربي حيال دولة الشرف وحكومة المجد ليضع علامة استفهام كبيرة حول هذا الموقف.

وكأنه يصرخ بشدة في آذانهم:

أويستطيع نظام أن يخرج عن إرادة البيت الأبيض أو الأحمر؟ أو يتمرد على إشارات برمنجهام؟

وكأن دولة المجاهدين تقول: من يعلق الجرس؟



لن تطفئوا نور الله

لقد استحر القتل بالمجاهدين المحاصرين لجلال آباد، وروسيا تدفع بكل ما بين يديها من وسائل الفتك والإبادة، وكثر الشهداء حتى صرنا لا نتابع الكتابة عنهم.

والشيوعيون قد انتفضوا بكليتهم يدافعون عن كيانهم الهش الذي بدأ ينهار ركنًا بعد ركن، وصيحات النظام لا تتوقف مستغيثة الأمم المتحدة.

وفي هذه المعركة أبدى المجاهدون بسالة لا نظير لها وهم يقتحمون الموقع تلو الموقع والألغام تحت الأرض تتربص بهم ريب المنون، والشباب العرب قد ضربوا مثلاً رائعًا في الإقدام على المنايا خاصة في اقتحام المطار.

التساؤلات:

والناس الذين يرقبون المعركة يريدون أن تسقط (جلال آباد) بطرفة عين أو لمحة بصر لشدة تعلقهم بهذا الجهاد يودون أن تقوم دولة الإسلام في أفغانستان بين عشية وضحاها، وتمسح الشيوعية من أرض أفغانستان؛ لتقوم مقامها المنارة المفقودة (الخلافة).

الاعتذار عن المجاهدين:

ونحن إذ نؤرخ لهذه المرحلة نعتذر عن المجاهدين بأمور:

(1) إن المجاهدين حديثو عهد بفتح المدن، وأما الآن فقد انتقل الجهاد من الدفاع إلى الهجوم، ومن فتح مراكز صغيرة إلى فتح مدن كبيرة.

(2) إن جلال آباد منبت الشيوعيين.

(3) إن الذين لهم أدنى معرفة بالحروب الشاملة يدركون أنه ليس بمستغرب طول حصار المدن.

أقول: إن حصار المدن وفتحها ليس بالأمر الهين ولا يتم بومض البصر.

(4) لقد فتح المجاهدون خلال الشهرين الماضيين أكثر من مائة مركز حول جلال آباد، وغنموا غنائم كثيرة كانت تصل أكوامها طولاً إلى عدة كيلو مترات.

(5) أما نجيب وحكومته المنهارة فهم يعيشون حالة من اليأس القاتلة والتردي المزرية البئيسة، فلا يدع مارًّا بالشرق إلا ويستنجد به ليتوسط لدى المجاهدين.

موقف أصحاب الشمال (اليسار) العربي:

والصحف التي يمسك بزمامها أصحاب الشمال الذين يتدسسون من خلال أوكارهم الهدامة لتدمر حصوننا من داخلها في العالم الإسلامي، أقول: إن هذه الصحف والدوريات تلعب دورها في تحطيم نفسيات الجيل العائد إلى الله، ولا تني صباح مساء أن تدس سمومها لغرس اليأس في قلوب المسلمين من خلال التلاعب بالألفاظ ومعسول الكلام.

والشيوعية وأصحاب الشمال في العالم الإسلامي يكادون يتفجرون غضبًا وغيظًا على هزيمتهم الكبرى في أفغانستان، وهم متحمسون للشيوعية ولنجيب أكثر من أمهم (روسيا) التي تركتهم نهبة للطامعين، وصيدًا رخيصًا سهلاً للقانصين، وركلتهم بأقدامها خاسئين خاسرين، وهم مع هذا كله يتربصون بالإسلام وأبنائه.

وهم يعيدون ويبدئون أن القتال في أفغانستان حرب أهلية فكيف يجوز لمسلم أن يدفع درهمًا لتأجيج نار الفتنة الأهلية وسفك دماء المسلمين الأفغان، وكيف يزج مسلم بنفسه وبماله في هذه المتاهة (القاتل والمقتول فيها بالنار)؟!!! وكيف يعد المجاهدون أنفسهم مسلمين وهم يشنون حربًا شعواء ويشعلونها نارًا ضرامًا على نجيب الذي يصلي ويصوم؟

وهكذا تواجهك الأسئلة الكثيرة التي يلبس بها اليساريون على الأمة الإسلامية التي تفاعلت مع الجهاد الأفغاني المبارك وتعده من أخطر القضايا الإسلامية وأهمها شأنًا.

يسألونني في الإمارات (أبو ظبي): أويجوز قتال نجيب وهو يصلي؟ فقلت: صدق الله العظيم: (وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور).

أما الحرب الأهلية:

فإن كانت المعارك بين جند الله وبين الشيوعيين في أفغانستان حربًا أهلية فهذا يعني أن قتال الرسول صلى الله عليه وسلم لقومه حرب أهلية؛ فقد قاتل صلى الله عليه وسلم يوم بدر أهله وعشيرته، وقد عاتبه ربه بعد قبول الفدية من أسرى بدر السبعين وعدم قتلهم.

فقد كان العتاب لعدم قتل الأسرى؛ لأنه لابد من الإثخان في بداية أمر دولة الإسلام ونشأتها في أية بقعة وعبر أي زمان.

حضارة الإرث الثالث

قال لي صاحبي معاتبًا: أنتم قدمتم القضية الأفغانية في إطار أوسع من حجمها، وبصورة أنصع من واقعها، وبضخامة أكبر من أحداثها، وهذه مسؤولية أمام الله.

وقال لي آخر: لقد بدأت صورة العملاق الأفغاني تقزم، وإشراقة الصفحة الجهادية تبهت، وبدأ الجهاد يفقد تلك الجاذبية التي أغرت الجماهير الإسلامية بمتابعته، وجذبت العشاق من كل حدب وصوب فارتمت على عتبته.

وقال لي ثالث:

إنك ما تفتأ تذكر أن الشعب الأفغاني شعب فريد في أصالته عريق في أرومته فذ في استعداداته وفطرته، مع أننا رأيناه جاهلاً فيه كثير من السقطات والهفوات والانحرافات.

فأجبتهم: رويدكم، لا ترموني شزرًا، ولا تزلقوني بأبصاركم ضجرًا، ولا ترهقوني من أمري عسرًا فما شهدنا إلا بما علمنا، وما كنا للغيب حافظين.

أما عن تقديم الجهاد الأفغاني في ثوب فضفاض فهذا أمر غير صحيح؛ إذ لم يكن في حسبان أحد أن الجهاد سيحقق الأماني العذاب واقعًا ملموسًا بمسيرة الآلام والعذاب، فلقد حول الجهاد الأساطير إلى أحداث ووقائع، فلقد كانت التقريرات تثبت أنه قد سقط وحطم للسوفييت حتى بداية سنة 8891 حوالي ألفين وثمانين طائرة، ودمر حوالي 71 ألف دبابة ومصفحة و21 ألف آلية.

وهذه أرقام لم يشهد لها التاريخ نظيرًا بعد الحرب العالمية الثانية.

واقعها أكبر من إعلامها:

ما رأيت قضية واقعها الفعلي أكبر من إعلامها مثل قضية أفغانستان، وأما عن الشعب الأفغاني: فهذه شهادة التاريخ القائلة: بأنه فريد في شدة مراسه وصلابة شكيمته وقوة بأسه، ودعك عن صبره وأنفته، وعزته وشدته وسلامة فطرته، وإبائه وحيائه.

قال صاحبي: ولكنك لم تذكر عيوب الشعب الأفغاني، فأجبت قائلاً: نحن نتكلم في قضية معينة وهي الحرب والشجاعة والصبر والبطولة، وهي التي فقدتها معظم الأمة الإسلامية.

أتريدوني وأنا أتكلم عن بطولة عنترة الفرسان أن أقول عنه: ولكن له رائحة كريهة تخرج من عرقه أثناء المعركة، وهو جاهل أمي، حتى تكون الصورة صادقة والنقل أمينًا، وأقول: **من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها، فمن كان شعبه خاليًا من العيوب فليذكر عيوب الأفغان.**

أما عن صورة المارد الذي تقزم فهذا شأن الإعلام اليهودي الغربي الأمريكي إذ إنهم نقلوا بعض

الصور الحقة أثناء القتال بين الأفغان والروس، وقد كان الأمريكان جد خائفين من استمرار الاحتلال الروسي لأفغانستان، وكانوا يخشون على آبار البترول في الخليج العربي، وكان يهمهم أن لا تستقر قدم الدب الروسي -أيضًا- قرب بحور الذهب الأسود، ويهدد مصالحهم في باكستان والدول الصديقة، أما الآن وقد هزمت روسيا وولت على أعقابها انتفضت الدنيا خشية أن يصل المجاهدون للحكم، ولذا ألقيت الأوامر إلى الإعلام أن يبحث عن كل نقيصة فيلصقها بهم.

المؤامرة كبيرة:

ففغر صاحبي فاه قائلاً: إذن فالمؤامرة عالمية؟ فأجبت قائلاً: نعم، ألا تسمع اللحن النشاز في مسيرة الشرف والفخار والذي ينادي بعودة ظاهر شاه، فقد نقل إلي أن الجنرال أكرم قد عاد من عند ظاهر شاه قبل أيام فسئل عن الملك فقال: لقد عرض عليه الأمين العام للأمم المتحدة أن يرجع إلى أفغانستان فأجاب الملك لن أرجع حتى يطلبني القادة السبعة وعلى رأسهم حكمتيار وسياف، وهذا يكون حين يلج الجمل في سم الخياط.

مقتل ضياء الحق:

فقال صاحبي وهو يتابعني: ولعل قتل الرئيس ضياء الحق كان جزءًا من المؤامرة. فقلت: إن قتل ضياء الحق كان الركن الركين في هذه المؤامرة فلقد قتل ضياء؛ لأنه وقف وقفة الشرف والإباء بجانب ليوث الله، فكان الغرب والشرق يخشون أن يصل المجاهدون إلى الحكم ويحفظوا لهذا القائد الفذ يده البيضاء ويقيموا اتحادًا فدراليًّا أو كونفدراليًّا مع باكستان، فتلتقي الطاقة البشرية الإسلامية في أفغانستان مع القوة الذرية في باكستان، وعندها تصبح مصدرًا للرعب يهز أوصال الكفر في العالم أجمع.

ولذا فإن المراقبين يكادون يجمعون أن أمريكا هي التي عبثت بطائرته، وذلك لأن المادة الكيماوية التي استعملت في حادثة اغتياله لا تصنع إلا في دولة متقدمة.

واستدارت عجلة الجهاد:

أما اليوم فقد استدارت عجلة هذا الجهاد كيوم بدأ، وعاد يواجه الصعوبات التي قابلها في تلك الأيام الأولى من ضيق ذات اليد وتنكر الصديق قبل العدو، وبدأ التضييق على الحدود، وجاء قرار منع إخراج الأغذية خارج باكستان كثالثة الأثافي ليحول دون وصول الرغيف إلى يد ليوث الغاب، فإذا وضعت في حسبانك السنين التي حلت على أفغانستان خاصة شمالها وغربها تحمل معها القحط

والفاقة حتى تضاعف ثمن الطحين لهذا العام خمسة أضعاف، وزحفت الآفات مع الجراد لتأتي على ما بقي من حياة، وأضافت القذائف بحرائقها على هذا الجو الكئيب الحزين عمقًا لمأساة الرغيف.

الحائط المسدود:

قال صاحبي: ولكن ألا ترى أن الجهاد الأفغاني قد وصل إلى حائط مسدود ومأزق ضيق ووقف أمام عقبة يصعب عليه اجتيازها بعد عجزه عن فتح جلال آباد مع مرور هذا الوقت الطويل؟

فقلت له: رويدك قليلاً، ولنرجع إلى الوراء قليلاً لندرك حقيقة جلال آباد، فلقد كانت الحكومة تسيطر على مساحة 07×03 كم (2،001كم2) تقريبًا قبل ثلاثة أشهر في منطقة ننجرهار (جلال آباد) فلم يبق في يدها إلا (7×4كم)، هذا بالنسبة لجلال آباد التي تقع تحت رحمة نيران المجاهدين التي يكفونها عن الأهالي.

أما بالنسبة لأفغانستان: فالمجاهدون يسيطرون تقريبًا على معظم الطرق الرئيسة.

فقه الأوراق وفقه الحركة:

والذين يزاولون فقه الأوراق اليوم وهم ينقلون عن الصحابة طول مدة القصر يظنون أنهم كانوا مستقرين مطمئنين ولا يعلمون، وهم ينقلون عن الصحابة أنهم كانوا في معارك لا تتوقف أو جو من الرعب والرهب في حصار أعداء الله وشبح الموت يتراءى أمام نواظرهم صباح مساء.

فقد روى نافع عن ابن عمر (أقام ابن عمر بأذربيجان ستة أشهر يصلي ركعتين وقد حال الثلج بينه وبين الدخول)، وقال أنس: (أقام أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم برام هرمز سبعة أشهر يقصرون الصلاة)، وقال الحسن: (أقمت مع عبد الرحمن بن سمرة بكابل سنتين يقصر الصلاة ولا يجمع)، فقد كان الجميع يعيشون المعركة في خضم متلاطم من القبائل والأعداء يتحفزون للانقضاض عليهم والبطش بهم.

قال صاحبي:

إذن لم يفت الوقت! فأجبته: بلى، بل إن الجهاد في تقدم وما من يوم يمر إلا والجهاد يحقق نصرًا مهما كان ضئيلاً، والمجاهدون الآن يدمرون الحزام الأمني الثاني لكابل، ويواصلون الليل بالنهار لمعركة كابل المقبلة خلال الأشهر القليلة المقبلة بإذن الله، فتراهم مشغولين بحفر الخنادق وتخزين المؤن ونقل الأسلحة (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز).





أريد حياته ويريد قتلي:

ولو علم الغرب والشرق والأمريكان بالذات ما سيحققه انتصار هذا الجهاد من خير لهم، ومن إنقاذ لإنسانيتهم، وحل لأزمتهم، لبذلوا له الغالي والرخيص والنفس والنفيس.

إن حضارة الإسلام هي الوحيدة التي تصلح لإرث الأرض وإنقاذها، إن نداء الفطرة يصرخ: أريد حضارة (الإرث الثالث) كما يسميها جارودي، إن الفطرة تريد الخلاص.

الطريق إلى كابل

على طول الطريق من بيشاور إلى عند الفتح (جاجي) كان الحديث الذي يدور بيني وبين حكمتيار ويحتل الأهمية البالغة في وقتنا هو حديث الجهاد، وفي قمة الأهمية البالغة معركة كابل التي أصبحت الشغل الشاغل للمجاهدين قادة وجنودًا.

لقاؤنا مع الإخوة العرب:

وقد كان اللقاء في مركز الفتح مع مجموعة من الإخوة العرب في الثاني من ذي الحجة سنة 9041هـ وقد دار الحوار حول حوزات كابل وأهدافها الرئيسة فقال حكمتيار:

لابد من إغلاق الطريق الرئيس الواصل بين سالنج وكابل، طريق (حيرتان - سالانج - كابل) هذا هو الهدف الأول الذي يجب أن نضعه نصب أعيننا.

وأما الهدف الثاني فلا بد من ضرب المراكز الحساسة مثل مطار كابل (خوجا رواش)، وبجرام، ودار الأمان.

القيادة الموحدة أو مجالس الشورى:

وأكثر ما كان يشغل أذهان الإخوة العرب ويتردد على ألسنتهم هو العمل الدائب لإظهار قيادة موحدة للمعركة، وهذا الأمر هو الذي استحوذ على اهتمام الإخوة في جولاتهم حول كابل،

والتي بدأت منذ بضعة أشهر، وهنا قضيتان لابد من الوصول فيهما إلى حل:

(1) الاجتماع على قيادة موحدة.

(2) الاجتماع على خطة مشتركة بين المجاهدين.

وهناك قضايا أخرى كانت الترتيبات والاتصالات الدائبة تعمل عليها منذ عدة أشهر، وعلى رأسها التنسيق مع القادة الأمراء بشأن المواد الغذائية وتوفيرها للمعركة، ولعل الله قد اطلع على قلوب

بعضنا، فعلم صدق النيات وإخلاص الطويات فألان لنا بعض قلوب الصالحين والمحسنين فبذلوا بسخاء، وقد تجمع بعض المال الذي اشترينا به المواد الغذائية.\

حديث التاريخ:

ولقد حدثني التاريخ قائلاً: إن بين طيات صحفي مصداقية كلامك، فمن وسط آسيا خرج المغول وحكموا أرجاء كبيرة من المعمورة، واعتنق أحد أبناء جنكيزخان هذا الدين (وهو بركة خان)، وقامت الدول المغولية الإسلامية التي حكمت تركستان وأصقاعًا كبيرة من الأراضي التي ترزح تحت الاستعمار السوفياتي. ولقد برز من هذه الأرض (وسط آسيا) تيمورلنك الأعرج الذي أنشأ الدولة التترية والتي بسطت سلطانها على مساحات واسعة من الأرض، واعتنقت الإسلام، وأخذت مكانتها خليفة للدولة المغولية.

وبزغ من هذه الأرض الأتراك العثمانيون الذين امتد رواق سلطانهم قرابة خمسة قرون على العالم العربي وعلى أرجاء شاسعة في أوروبا يحكمونها باسم الإسلام، وتعلن إذعانها لهم بدفع الجزية لخلفاء بني عثمان.

فلا تستغربن أن يكون للأفغان دور ينتظرهم في إنقاذ قطاع كبير من البشر باسم الإسلام وبحد الحسام.

قال أبو الحسن المدني: إن أول ما لفت نظري إلى أهمية القضية الأفغانية أستاذ في الدراسات الشرقية في جامعة أمريكية أخذت عنده مادة في التاريخ لمدة أربعة أشهر وقف فيه الأستاذ شهرين كاملين مع القضية الأفغانية ودورها المنتظر في التاريخ الحديث.

القدر لا يخضع للبشر:

وهنالك أسباب يخبئها الله لعباده الصادقين ينزلها الله أثناء الشدة وإبان الأزمات، فقد تستسلم فرقة من الجيش الكافر بالاتصال السري فتنهي وجود الحكم.

التسخير الرباني:

وإني لأحس من أعماقي رحمة الله وفضله في تسخير العرب لخدمة هذا الجهاد.

وعطاء العرب من أنفسهم وأرواحهم أضخم بكثير من بذلهم من جيوبهم، ودعك عن الروح المعنوية العالية التي يقبل بها العربي وهو يتدفق حيوية ويتفجر حماسًا مما يرفع معنويات المجاهدين.





ولا تنس الالتزام الخلقي الذي يعتبر سمة بارزة للمجاهدين العرب، عدا المعرفة العميقة للكثير منهم بالسنن والقيام وصيام النافلة وآداب الطعام والشراب والتزام أذكار الصباح والمساء، وتلاوة القرآن، وآداب السفر، وأدعية القتال مما ينتقل إلى الأفغان بالاقتداء والتأسي لا بالكلام والتعليم.

هذا عدا المؤسسات التي أشرف العرب على إنشائها داخل أفغانستان للمجاهدين أو في باكستان للمهاجرين، وفي شتى المجالات التعليمية والطبية والاجتماعية وحتى العسكرية.

أمور يتفرد بها العرب:

وهنالك مشاكل استعصى حلها على الأفغان أو أعجم عليهم الاهتداء إلى إزالتها فكان الفرج على يد العرب؛ كالخلافات الداخلية وإغلاق الطرق من قبل بعض الجبهات على الأخرى، والتنسيق بين قادة الميدان، أو التقريب بين وجهات نظر الأمراء.

أعداء الله يدركون الخطر:

ولقد أدرك أعداء الله البارزون وأعوانهم المتسترون بأسماء المسلمين ضخامة الدور الذي يقوم به العرب الآن في المعركة، والروح التي تسري في الجهاد والمجاهدين كسريان النور في الظلام بسبب وجود هؤلاء المهاجرين الأنصار العرب، مما جعل الأعداء ينتفضون بكليتهم يشنون حملاتهم المسمومة على الوجود العربي، ويشعلون الفتن ضدهم باسم الوهابية، والتشكيك بالغايات السامية التي طلق من أجلها المجاهدون العرب الدنيا وهجروا النعيم، حتى جازت الحيلة على بعض الجهلة، وأخذوا يوغرون صدور المسؤولين في باكستان على الوجود الإسلامي بين المجاهدين الأفغان، ويؤزونهم أزًّا للتضييق على حركتهم، ومنع إعطائهم الاعتراف القانوني ببعض مؤسساتهم.

ولكن جذور المحبة العميقة التي نمت مع الأيام بين الأفغان والعرب من خلال تسابق العرب على الموت والتزام خنادق القتال والإلقاء بالنفوس في أتون المعارك المضطرمة جعل الأفغان وهم أهل رجولة وإباء وشمم وفراسة يدركون أن هؤلاء العرب ما جاءوا لغرض قريب أو متاع زائل أو سفساف من الأمر، وإنما جاءوا لقضية كبرى هي: الشهادة والجنة وإحياء دين الله من جديد، وإقامة المجتمع الإسلامي فوق هضاب خراسان وبلخ.

ولكن لابد أن يكون معلومًا لدى الجميع أن العرب لا يفعلون شيئًا بدون الأفغان، ولا يستطيعون (فهم كالملح للطعام).

رجال وأحداث

كان حكمتيار على طول الطريق من "بيشاور" حتى وصلنا "تشاري كار" يحدثني أن أمامنا هدفين

رئيسين الآن:

1- إغلاق الطريق العام (حيرتان - كابل أو روسيا- كابل).

2- ضرب مطار بجرام.

فكنت أقول له: أوتظن أن الحزب الإسلامي وحده قادر على القيام بهذين الهدفين وتحقيق هاتين الأمنيتين؟ فيقول لي: أظن أننا قادرون بإذن الله -كحزب إسلامي وهو التنظيم الذي يرأسه حكمتيار- على تحقيق هذين الأمرين.

فكنت أقول له: لعلك بحاجة إلى ألا تغض طرفك عن التنظيم القوي الآخر الذي يشاطرك هاتين القضيتين وهو الجمعية الإسلامية، كنت أريد أن أقرب إلى ذهنه الحكم الشرعي بالنسبة للقائه مع أحمد شاه مسعود (القائد العام لتنظيم شوراي نظار الذي يتضمن عشر ولايات شمال كابل، والذي يشكل جزءًا مهمًّا من الجمعية الإسلامية التي يرأسها الأستاذ برهان الدين رباني). لقد كنت أقول لحكمتيار ونحن على مشارف بروان:

إن لقاءك مع مسعود الآن فرض شرعي، ولئن عدت إلى بيشاور دون اللقاء به فأنت آثم.

فقال لي: آثم؟ قلت: نعم آثم شرعًا؛ لأنك تفوت فرصة تقرب الإطاحة بالنظام الشيوعي، أو تثل عرشه وتزلزل كيانه.

ووافق حكمتيار ورحب باللقاء.

قذيفة حمقاء تبدد آمال العقلاء:

قال لي حكمتبار: لقد أذاعت الـ (C.B.B) نبأ كمين أعده سيد جمال آغا وليد لقادة مسعود أثناء عودتهم من (اجتماع شوراي نظار)، ولقد قالت الإذاعة: إنه قد قتل ثلاثون منهم أربعة كبار، وذكر أن (قاضي إسلام الدين ود.حسين) من بين القتلى.

وقد نظرت إلى وجه حكمتيار وقد امتقع بالسواد تأثرًا للحادث المروع الأليم الذي اقترف، وكتب حكمتيار استنكارًا شديدًا لهذا الحادث المزلزل، وأرسله إلى مكتبه في بيشاور ليقوم بتبليغه إلى الإذاعات والصحف.

كنت قد اتفقت مع حكمتيار أن لا يغادر بروان ولو امتد الأمر طويلاً حتى يتم اللقاء، ولدى تلقيه للنبأ الفاجع قرر مغادرة أفغانستان ونصحته شخصيًّا أن يغادر؛ لأن الخرق قد اتسع على الراقع وقد يطول بنا الأمر.

ثم قال لي حكمتيار: نحن مستعدون أن نقدم سيد جمال للمحكمة الشرعية تحكم فيه حسب الشريعة الإسلامية. وقلت له: لا بد لي الآن أن أقابل مسعودًا.





مقابلتي مع مسعود:

وأخيرًا وصلت إلى (مسعود) في ورسج/ فرخار فوجدته يكاد يقضي أسى ويعتصر ألمًا، بدأت الكلام مع مسعود عن الموقف الدولي والإسلامي والمحلي تجاه الجهاد الإسلامي في أفغانستان، وأن المعنويات في العالم الإسلامي لابد من رفعها بعمليات عسكرية ضخمة سريعة، وأنه لا بد من أن ننسى جراحاتنا العميقة إزاء هذا الطاغوت الذي يجثم على صدور المسلمين في أرض كابل، فقال: أقسم بالله إنني ما رضيت لحظة واحدة عن الخلافات بين الحزب والجمعية، وسيسألني الله يوم القيامة عن هذا، فأجيبه أنني ما أعطيت يومًا من الأيام ذخيرة للجمعية وقلت للقائد أن يستعملها ضد الحزب.

وقال لي: أعدك -بإذن الله- أن لا تتخطى المشكلة مكانها وموقعها، ولن تتعدى المشكلة سيد جمال.

وأنا حريص أن ألتقي مع حكمتيار في أي مكان في أفغانستان، وقد وكلتك بهذا منذ العام الماضي، ولا زلت على موقفي، فتفاهم مع حكمتيار على ما تريد، وأنا أقبل بما تصلون إليه.

ومما اتفقنا عليه أنه لا يجوز شرعًا ولا عقلاً أن يقتل قائد في تخار فيقتل مقابله قائد من "جلبهار".

الراحة النفسية:

ورغم الطعنة النجلاء التي وجهت إلى صميم الفؤاد وفي هذه المرحلة العصيبة إلا أنني عدت مرتاح النفس هادئ البال مطمئن الضمير من داخل أفغانستان، فالوضع أفضل بكثير من بيشاور ومن الصورة الشوهاء التي ارتسمت في أذهان الناس في هذه الآونة عن الجهاد والاستعدادات لمواجهة نجيب كبيرة.

عقبات الطريق:

والعقبات في طريق هذا الدين والمشاكل التي تنشأ داخل الصف المسلم من بعض أدعيائه أو من أعدائه كثيرة، ولا تزيد المشاكل النفوس إلا صفاء وجلاء ونقاء.

مسيرة شعب

فقد غطت حادثة تخار وما تبعها على أخبار الانتصارات الجهادية، وقد اتخذ بعض القوم من هذه الأحداث مادة دسمة للخوض في المجاهدين، ولقد تابعت الحدث بنفسي فوجدت أن كثيرًا من المؤتمرات الصحفية والتصريحات الإعلامية التي عقدتها اللجان السياسية أو الإعلامية في الأحزاب شابها كثير من التهويل، واعتراها التضخيم والتفخيم، في حين ذكر أنه لم يقتل سوى خمسة من القادة وستة من المجاهدين.

فقلت للأطراف: أنتم تخربون بيوتكم بأيديكم، وتهدمون بمعاولكم جهادكم. وخلاصة ما أريد أن أقوله: إن الأحداث في واقعها أقل بكثير من الصورة المشوهة التي ضخمها الإعلام، أو رسمتها أيدي اللجان.

ولقد أثرت هذه التصريحات على نفوس المسلمين في العالم أجمع مما أدى إلى انقباض صدورهم وقبض أيديهم عن البذل، وحسبك في هذا الباب مثال واحد أن أحد المحسنين سأل عن المواد الغذائية التي تلزم معركة كابل في هذا الصيف فقيل له: ستة آلاف طن يقدر ثمنها بمليون دولار تقريبًا، فتبرع بها وبدأت القوافل التي تحمل المواد الغذائية تتوارد إلى الجبهات حول كابل، ولدى تلقي هذا المحسن لخبر "تخار" دفع ثمن المواد التموينية التي اشتريت بأربعمائة ألف دولار واعتذر عن الإيفاء ببقية المبلغ.

حل الألغاز:

ويذهل بعض الناس من المسلمين كيف تحصل أمثال هذه الأحداث بين المجاهدين في سبيل الله؟ وكيف يجرؤ مسلم أن يسفك دم أخيه المجاهد وأمامه الطاغوت الكبير نجيب يتربص به وبإخوانه الدوائر.

ويزول العجب إذا رجعت إلى (البداية والنهاية لابن كثير) أو إلى تاريخ الطبري وتتبعت الفتن التي ابتدأت بالفتنة الكبرى التي أودت بذي النورين عثمان (في الشهر الحرام في المدينة النبوية الحرام، وما تبعها من معركة الجمل بين علي) من جهة وبين عائشة وطلحة والزبير من جهة أخرى، وهؤلاء الصحابة -رضوان الله عليهم- من العشرة المبشرين بالجنة، وكذلك معركة صفين بين علي ومعاوية.

ولإنهاء الإشكال الذي يدور في مخيلتك حول هذه الأحداث لابد لك أن ترجع إلى كتاب (العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي) لترى كيف كان كل واحد من الصحابة متأولاً، وأن عليًّا التقى بالزبير

وطلحة وانصرفا من المعركة قبل أن يحدث اشتباك ولكن المفسدين هم الذين أشعلوا المعركة ليلاً فظن كل من الفريقين أن الطرف الآخر قد نكث عهده..

وهنا وجب الأخذ بالتوجيه الرباني

(وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً) [النساء: 38].

ولذا فالأخبار التي تشوه الجهاد الأفغاني وشخصياته لابد أن يرجع الأمر فيها إلى المطلعين ممن يعيشون أرض المعركة ويدركون أبعاد الأحداث.

مفاتيح حل الطلاسم والمعميات في الخلافات عند الشعب الأفغاني:

وإنني أرى أن وقع الأحداث على قلوب الذين يواكبون مسيرة الجهاد في داخل أفغانستان أخف بكثير من وقعه على قلوب الذين يسمعون من بعيد، وذلك لأن الذين يحيون مع هذا الجهاد يعلمون أبعاد كل مشكلة وجذورها التاريخية، ولعلك لو تتبعت بعض المشاكل وجدت بعد عناء كبير في البحث أن السبب قد يكون ماعزًا أو بقرة، وستجد في مشكلة أخرى أن الدافع لسفك الدم هو ثأر قديم انتقامًا لوالده الذي قتل بيد هذه القبيلة قبل أربعين سنة أو أكثر... وستجد مشكلة ثالثة سببها الخلاف بين أبناء عمومة على زواج فتاة، وتجد مشكلة رابعة وراءها قاطع طريق وقف في وجه الروس وأبدى بطولة فائقة في تحطيم دباباتها واغتنام ذخائرها وناقلاتها، وبعد خروج الروس عاد قاطع الطريق مع عصبة من الأشرار حوله يقطعون الطريق على المسلمين المجاهدين.

وتجد كثيرًا من المشاكل وراءها مخابرات الدولة وعملاؤها الذين يبيعون الدنيا والآخرة بريال واحدا!.

ولجلاء الشك وتوضيح الصورة لا بد لك أن تعلم أن الشعب الأفغاني بطبيعته وأغلبيته شعب صلب المراس قوي الشكيمة حاد الطبع يرفض الذل ويأبى الخنوع، وهو إلى جانب إبائه ورجولته وصلابته وكرمه ووفائه وصفاء فطرته وحيائه يجمع معها صفات أخرى كحب الثأر والانتقام والأنفة والفخر والتعصب إلى ما يعتقده حقًّا. وهذه الصفات جعلته يتعصب لمذهبه الحنفي، ولعل هذا من العوامل التي حمته من الفكر الشيعي، فلقد وقف التعصب المذهبي حاجزًا كبيرًا أمام المد الشيعي الإيراني، ولذا فقد عجزت المؤسسات الغربية أن تدخل أفكارها مع أموالها؛ فقد صرح مسؤول الإغاثة في الأمم المتحدة: بأن الشعب الأفغاني هو الشعب الذي أعيانا أن نتعامل معه. وعجزت المؤسسات التعليمية أن تفرض عليه آراء لا يقبلها، بل هو الذي فرض عليها ما تعمله.

شعب يحمل السلاح:

عندما يمتشق الشعب سلاحه ويهب في وجه أعدائه لابد لك أن تتوقع كذلك أن يستعمل هذا السلاح من قبل بعض الفساق والفجار في وجه النساء والصغار لتنفيذ مآربهم وإرواء شهواتهم وابتزاز الأموال من الضعفاء.

أما أن نعيش في أحلام وردية وأبراج عاجية ونحلق في أمان عسلية فنتمنى وجود شعب ملائكي نزع من صدورهم الغل والحسد والتنافس والهوى وحب الدنيا والرئاسة وشهوة السلطة والمال، ونتمنى انسحاب هذه الصفات على كل فرد في المجتمع، فهذا أمر لن يكون في الأرض في يوم من الأيام، (ولو أمكن وقوعه لوجدناه في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يحصل هذا).

تجربتي في فلسطين:

ولقد عشنا فترة من الجهاد واكبنا فيها مسيرة الثورة الفلسطينية، ولقد كنت أرى معظم المجتمع في الأردن غير آمن على عرض ولا مال ولا دم من بعض فصائل الثورة.

ولقد كانت تجاور معسكر التدريب -الذي يضم أبناء الحركة الإسلامية- قاعدة للجبهة الديمقراطية -نايف حواتمة- فكنا نخشى أن يأخذونا على حين غرة غدرًا أكثر من اليهود، فكانت حراستنا من جهتهم مشددة جدًّا، وقد كانوا يعلقون صور لينين -غارس دولة الإلحاد في الأرض- على أبواب الصالحين فلا ينبسون ببنت شفة.

تجربة الحركة الإسلامية:

ولقد اعتنى الأستاذ البنا بتكوين جهاز عسكري لمواجهة اليهود وأعداء الحركة، واغتيل سيد فايز أحد أعضاء الجهاز السري المرموقين وأشارت أصابع الاتهام إلى بعض أفراده، ثم أسندت رئاسة الجهاز أخيرًا إلى عبد الرحمن السندي الذي بلغ به الغرور حدًّا أن يغضب على موقف اتخذه الأستاذ الهضيبي المرشد العام فانطلق السندي وحاصر المركز العام مدفوعًا من عبد الناصر ليعتقل الهضيبي، فإذا جرى هذا في إطار جهاز صغير لجماعة إسلامية تعنى كثيرًا بالتربية الروحية والبناء النفسي، وتجهد في توثيق الصلة كثيرًا بين الفرد وخالقه، فما بالك بشعب أمي قبلي يحمل كله السلاح كأفغانستان؟

حسبنا الله ونعم الوكيل

منذ أن شعر الاتحاد السوفياتي أنه لا قبل له بمواجهة جند الله فوق أرض أفغانستان، ومنذ أن أحست أمريكا والغرب من ورائها أن روسيا مهزومة لا محالة، أيقنت الدول الغربية أن آبار البترول

العربية لم تعد في خطر بعد أن وقف السد المنيع من جماجم الشهداء الأفغان دون تخطي الدب الأحمر لحدود قندهار، وبعد أن اطمأن الغرب تحت زعامة العم سام أن مصالحه في أواسط آسيا وغربها لم تعد مهددة، بدأ يبحث عن البديل لهذا الدب الذي أثخن بالجراح.

وبدأ لحن البطولة الأفغانية الذي عزف عليه الغرب سنين عددًا يخفت تدريجيًّا، ويحل محله لحن جديد وهو إبراز بطل (البيروسترويكا) بأنه رجل سنة 9891 إذ تعرضه "التايم" الأمريكية على غلافها مشيدة ببطل السلام غوربتشوف، واتجه الإعلام الغربي إلى إبراز حاكم الكرملين بصورة مشرقة بعد أن عطرت اليد الغارقة بنجيع الأطفال ودماء النساء بالعطر الذي يعبق شذاه في الأنوف.

دور الإعلام في طمس جهاد الأعلام:

أما الجهاد الأفغاني فقد أضحى في عرف اليهودية العالمية حربًا أهلية وصراعات قبلية، هذه الصحف التي تدوخ البشرية بأجهزة إعلامها وصحفها الدورية التي تصدر بالملايين لغسل أدمغة البشرية.

البروتوكولات:

جاء في البروتوكول الثاني عشر:

1- سنمتطي صهوة الصحافة ونكبح جماحها.

2- يجب أن لا يكون لأعدائنا وسائل صحفية يعبرون فيها عن آرائهم.

3- لن يصل طرف من خبر إلى المجتمع من غير أن يمر علينا.

4- ستكون لنا جرائد (صحف) شتى تؤيد الطوائف المختلفة من أرستقراطية وجمهورية وثورية، بل وفوضوية -أيضًا.

5- يجب أن نكون قادرين على إثارة عقل الشعب عندما نريد وتهدئته عندما نريد.

6- يجب أن نشجع ذوي السوابق الخلقية (المفاسد الخلقية) على تولي المهام الصحفية الكبرى، وخاصة في الصحف المعارضة لنا، فإذا تبين لنا ظهور أية علامة للعصيان من أي منهم سارعنا فورًا إلى الإعلان عن مخازيه الخلقية التي تستر عليها، وبذلك نقضي عليه ونجعله عبرة لغيره.

وفي البروتوكولات: (لابد لنا من السيطرة على وكالات الأنباء التي تتركز فيها الأخبار من كل أنحاء العالم، وحينئذ سنضمن أن لا ينشر من الأخبار إلا ما نختاره نحن ونوافق عليه).

اليهود يمسكون زمام الإعلام الغربي:

فمثلا وكالة "رويتر" أسسها يهودي اسمه "جوليوس رويتر"، وكذلك وكالة "أسوشيتدبرس" يسيطر



عليها اليهود، وكذلك وكالة "اليونايتدبرس إنترناشيونال" أسسها يهود وهم "سكرايبس وهوارد وهيرست" سنة 9091، وكانت وكالتين ثم اتحدتا سنة 8591، ووكالة (أنباء هافاس) الفرنسية أنشأها "**هافاس**" اليهودي.

أما الصحف: فـ"التايمز" البريطانية يملكها اليهودي "ميردوخ"، ويمتلك كذلك مجلة "الشمس Sun"، و"أنباء العالم News of the world " و City Magazine .

وتوزع (51) صحيفة بريطانية يوميًّا حوالي 33 مليون نسخة، ومنها " الديلي اكسبريس Daily Express " و" الديلي ميل Daily Mail " و"الأوبزرفر Observer"، و "الغارديان Gaurdian ".

أما في أمريكا: فهنالك (1759) صحيفة يومية يتلقفها (16) مليون أمريكي نصفها لليهود، ولهم عليها السيطرة الكاملة، والنصف الثاني سيطرتهم عليه أقل.

ومن القسم الأول: "نيويورك تايمز"، "الواشنطن بوست" توزع (620 ألف) نسخة يوميًّا و"الديلي نيوز، والنيويورك بوست" وتوزع (740 ألف) نسخة يوميًّا.

ومجلة "نيوزويك" الأسبوعية وتوزع ثلاثة ملايين نسخة، "والتايم" وتوزع (4،5 مليون) نسخة أسبوعيًّا.

وكذلك شبكات التليفزيون الأمريكي الثلاث كلها يسيطر عليها اليهود N.B.S CBS ABC.

المحور الذي تدور حوله أجهزة الإعلام:

ويركز الإعلام الآن على تشويه هذا الجهاد من خلال قضيتين أساسيتين:

1- أولاهما: طمس الصورة المشرقة لهذا الجهاد وإبراز الثغرات وجوانب الضعف فيه، وذلك لمحو آثاره في أعماق الأمة الإسلامية وتحطيم عقيدة التوكل على الله التي بناها الجهاد الأفغاني عبر السنين من خلال التضحيات والبطولات.

2- ثانيهما: قطع الصلة بين هذا الجهاد وبين قلوب الأمة المسلمة وتحجيمه من جهاد إسلامي عالمي إلى قتال قومي منحصر بين قومين: الأفغان والروس.

نظرة الناس إلى الجهاد الآن:

ولقد التقيت بطبقات مختلفة من الشعوب الإسلامية خاصة العرب في رحلتي الأخيرة فوجدت الناس كأن على رؤوسهم الطير:

قال لي خطيب مسجد مشهور في جدة: أصبحنا الآن نستحيي أن نتكلم فوق المنابر بكلمة عن الجهاد الأفغاني، وأنا أعلم أن هذا الشاب لا زال ممن يعتبرون أنفسهم أحد أبناء هذا الجهاد ممن ينافحون عنه بلسانهم ويحضون الناس على بذل حشاشة نفوسهم وقلوبهم له.





والتقيت بعالم يشار إليه بالبنان ويرجع إليه جماهير الناس في فتاواهم: فقال لي: أنا الآن مشوش عن الجهاد الأفغاني، ولذا فإني متوقف، فشرحت له حال الجهاد وقلت له: إن الأمل بالله ثم بهذا الجهاد كبير، وحال المجاهدين على خير، وهم يقفون على أبواب كابل.

فقال لي فضيلة الشيخ: شرح الله صدرك كما شرحت صدري.

الإعلام العربي:

والصحف العربية بحجمها الصغير وعددها الضئيل لا تملك أن تتمرد على تيار سدنة الإعلام العارم، وليس لها إزاء هذا الخضم المتلاطم من الصحف اليهودية أن تسبح فيه ضد التيار أو تجدف لتخلص إلى شاطئ الاستقرار، فالعرب ينقلون عن الصحف الكبرى ووكالاتها التي يدوي ذكرها في الأرض، فيقف الناس مشدوهين أمام هذه الصحف وتجاه وكالات الأنباء، ولا يسعهم إلا أن يرددوا ما يسمعون خاشعين واجمين قائلين: آمين.

إن دور الإعلام العربي الآن تجاه الجهاد:

1- تحطيم الأمل الكبير الذي بناه الجهاد الأفغاني عبر السنين في قلوب الجيل المسلم.

2- اجتثاث عقيدة التوكل على الله من أعماق الأمة الإسلامية التي غرسها الجهاد من خلال المواقف والرجال.

3- تشويه قادة الجهاد وحرق شخصياتهم في أنظار الأمة المسلمة.

4- إقناع الشعوب الإسلامية أن الحرب في أفغانستان حرب أهلية بين المسلمين، ودعمه إنما يعني زيادة سفك دماء المسلمين المحرمة.

5- إثبات فشل هذا الجهاد وضعفه أمام الحكومة الشيوعية، وأن لا مخرج من الأزمة إلا بمؤتمر دولي يتقاسم المغانم وينتهب الثمار.

6- التركيز على الخلافات الأفغانية المتأصلة والتي يستحيل حلها من خلال قادة الجهاد.

وهم يعيدون ويبدئون ويؤكدون على:

أن (رباني ومسعود) من التاجك الذين لا يمكن للبشتون طاعتهم، ولذا فإن (مسعود) ينزع إلى دولة فارسية في شمال أفغانستان!!!

أحشفًا وسوء كيلة

حول مائدة مستطيلة في مقر لجنة الدعوة بالكويت اجتمعت ثلة من الصحفيين ومراسلي وكالات الأنباء والمجلات المحلية الكويتية تصب علي الأسئلة، وتوجه إلى الشبهات التي جمعت حول الجهاد الأفغاني، من حرب أهلية تسفك فيها دماء المسلمين، واشتباكات بين صفوف المجاهدين أنفسهم، وتصدع كبير يعتري أسوار حكومتهم. وتجمد الوضع الجهادي حول المدن. وكان من بين الحاضرين: مراسل وكالة الأنباء الكويتية، والإذاعة، والمجتمع، والبلاغ، والوطن، والسياسة، والأنباء... وغيرها.

فأجبتهم بوضوح:

1- إن الإعلام الغربي الذي تتزعمه أمريكا وتحركه أيدي يهود يريد أن يشوه صورة الجهاد الأفغاني، **ويلوث سمعته، ويحرق قادته لأغراض ثلاثة:**

- مسح آثاره من نفوس المسلمين في الأرض حتى لا يعود نموذجًا يحتذى وأسوة تقتدى.
- عزل الجهاد الأفغاني عن العالم وتحجيمه وإعادته قضية محلية قومية بعد أن أفلت من أيديهم وأصبح قضية إسلامية عالمية.
- إقامة الحاجز النفسي بين الجهاد وبين قلوب المسلمين حتى تكف أيديهم عن البذل تمهيدًا لخنق الجهاد، وحتى لا يقيموا النكير فيما إذا حاول الغرب والشرق ابتلاع هذا الجهاد من خلال المؤتمرات الدولية.

2- لقد قدمت لهم أرقامًا تثبت أن الروس لم ينسحبوا، بل هزموا شر هزيمة رأوها في تاريخ الثورة البلشفية، فلم يكن أمام روسيا من حل سوى التقهقر والهزيمة التي لم يذق الجيش الأحمر لمرارتها نظيرًا.

الأدلة القاطعة بين الاحتمالات والتوقعات وبين النتائج الدامغات:

ففي سنة 1891 نشرت "المجلة العامة للقانون الدولي العام" خبرًا مفاده أن خبراء حلف الأطلسي وهم الخبيرون بقوة خصومهم في حلف وارسو توقعوا أن يتمكن السوفييت من السيطرة على الوضع في أفغانستان -وبالتالي من القضاء على حركة الجهاد في أفغانستان- في زمن يتراوح بين ثلاثة إلى ستة أشهر، وبطبيعة الحال، لم يدر في خلد هؤلاء الخبراء -ومعهم المراقبون والمحللون الاستراتيجيون- أن حركة الجهاد في أفغانستان سوف تتمكن من الصمود في وجه الاحتلال العسكري السوفيتي العاتي، بل وإرغامه -بالضغط العسكري أساسًا- على جر أذيال هزيمة مخزية لم تعرفها الدولة السوفيتية منذ قيامها حتى الآن.

ولذا فالهزيمة التي تكبدها الاتحاد السوفياتي لم تكن متوقعة من قبل أمريكا والغرب، وإلا فإنه لا يمكن أبدًا للغرب أن يدع هذه الفرص مفتوحة أمام الجهاد الأفغاني.

محاولة يائسة:

ولقد حاولت أمريكا في آخر الشوط أن تنقذ الدب الروسي من أن يسقط تحت أقدام المجاهدين، ولكنها فشلت؛ إذ إن مقتل ضياء الحق جاء متأخرا جدًّا بعد أن تجاوز الجهاد الأفغاني مرحلة الخطر وعبر المنحنى الحرج.

المقارنات:

ولقد ذكرت في الكويت أنه من الظلم الكبير للجهاد الأفغاني أن نقارنه بالقتال في فيتنام أو غيرها مما يسمى بحركات التحرر الوطني.

ولكي تتضح أهمية حركة الجهاد في أفغانستان، من المفيد إجراء مقارنات سريعة بينها وبين بعض حركات التحرر المعروفة، من حيث الحجم، أو دور الدعم الخارجي، العسكري والسياسي والإعلامي.

فاللافت للانتباه أولاً أن الحرب في أفغانستان هي الأطول -زمنيًّا- من جميع الحروب الكبرى التي شهدها القرن العشرون، فهي أطول من الحربين العالميتين الأولى والثانية، وأطول من حربي كوريا وفيتنام، وأطول من الحرب العراقية الإيرانية..

وبالنسبة لفيتنام مثلاً، وهي الأشهر، تمتع الشعب الفيتنامي بالدعم العسكري والسياسي والإعلامي من الكتلة الاشتراكية جمعاء (الصين - الاتحاد السوفيتي - أوروبا الشرقية)، وكذلك الدعم السياسي والإعلامي لدول العالم الثالث، بل حتى من طرف أوروبا الغربية، ولعل العامل الحاسم في انتصار الشعب الفيتنامي -إلى جانب مقاومته المسلحة- هو الثقل الهائل للرأي العام الأمريكي المعارض للحرب.. وقد كانت أغلب إذاعات العالم تغطي يوميًّا أخبار المعارك، حتى أن بعض المذيعين في تلفزتنا العربية كان الناس يطلقون عليهم (فيتنام) لكثرة الأخبار التي يذيعونها عن التفاصيل اليومية للحرب الفيتنامية الأمريكية، ودعك عن المسافات الهائلة التي تقطعها الناقلات الأمريكية لتزويد جيشها بالعتاد والغذاء والكساء على النقيض تمامًا من الاتحاد السوفياتي الذي لا يفصله عن أفغانستان سوى نهر جيحون (آموداريا).

وبالنسبة لكوبا، التي أريد لها -في وقت ما- أن تكون نموذجًا ثوريًّا رومانسيًّا للكثير من حركات التحرر الوطنية، لم تتعد ثورتها مقاومة مسلحة محدودة لديكتاتورية محلية في جزيرة صغيرة.

الإعلام الغربي:

ولقد نعيت كثيرًا على موقف الصحف العربية التي تحمل لواء تحطيم الجهاد الأفغاني وتشويهه في أذهان المحبين والمتعاطفين في العالم الإسلامي فقلت:

ليت شعري لو وقفت صحفنا العربية بجانب الشعب الأفغاني كما وقفت بجانب الشعب الفيتنامي.

أقول من أحب من ذراري المسلمين انتصار نجيب على المجاهدين فهو أحد اثنين:

إما جاهل فيعذر بجهله حتى يعلم.

وإما عالم جاحد لحق الأخوة الإيمانية فهذا كافر خارج عن الملة؛ إذ لا يمكن لإنسان يحب هزيمة الشعب الأفغاني المسلم أمام الشيوعية أن يكون في دين الله وإن صام وصلى: (ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين).

أما من الناحية الإنسانية:

فإنه لا يمكن لإنسان في قلبه ذرة خير إلا ويكاد يذوب حزنًا بسبب المآسي التي خلفتها هذه الحرب المدمرة التي شنتها روسيا على هذا الشعب الأبي الصابر المثابر.

الكفة راجحة لصالح المجاهدين:

ثم واجهت الصحفيين بالقول: إن المجاهدين لا زالوا منتصرين والكفة راجحة لصالحهم رغم الإمدادات التي تتصبب كوابل المطر على حكومة، وبمقابل هذا تجد الشح الهالع الذي أصاب أيدي أصدقاء الجهاد.

وليت شعري أي طمس للحقائق وتشويه للجهاد هذا الذي يزاوله الإعلام!!

وسألني أحدهم: لم القتال، وقد خرج الروس؟ فأجبت: خرج الملحدون وجاء المرتدون.

وقال آخر: لماذا لم تعترف الدول الإسلامية بحكومة المجاهدين؟

فقلت لهم: لأنها لم تتلق إشارة ضوئية من أمريكا وروسيا، وبإمكانك أن تقطع بهذا من خلال الاعترافات التي بلغت مائة دولة بالدولة الفلسطينية التي ليس لها شبر أرض تقف عليه بينما يحكم المجاهدون 09% من أرضهم ولا زالت سيوفهم تقطر دمًا من أعلى ذروة النصر والمجد، ولم يعترف بهم سوى أربع دول.

وانتهى المؤتمر:

والحق أني رأيتهم جميعًا -إلا أشقاهم- قد تفاعلوا مع الكلام واغرورقت عيون البعض بالدموع، وكبر البعض مستبشرين، والحمد لله رب العالمين.





مختصر كتاب **في خضم المعركة** د. عبد الله عزام



هدية العدد ١٤ من مجلة كلمة حق سبتمبر ٢٠١٨

كتيب العدد الرابع عشر، سبتمبر ٢٠١٨